الفصل الأول

الهمز والتسهيل عند اللغويين والنحاة

الهمز لغة :

لم يكن العربى فى الجزيرة العربية يفهم من كلمة الهمز سوى ما جاء فى القاموس المحيط من أن «الهمز هو الغمز والضغط والنخس والدفع والضرب والعض والكسر»[1] ، أما إطلاقه على الصوت الأول من حروف (أبجد) فلم يكن معروفًا عند العرب الحضريين والبدويين على السواء ، تدلنا على ذلك تلك الروايات الأدبية المشهورة ، ومنها : «أن أحد علماء اللغة سأل رجلاً من قريش : أتهمز الفأرة ؟ يريد أن يعرف لهجة الرجل ، هل ينطق الهمزة فى كلمة الفأرة محققة أو مسهلة ؟ فلم يفهم القرشى مراد ذلك السائل ، وأجاب : إنما يهمزها القط»[2] . ومثلها فى الدلالة تلك الرواية التى تقول : «سئل أعرابى : أتهمز إسرائيل؟ فقال : إنى إذًا لرجل سَوْء[3]»، والرواية الأخرى : «قيل لأعرابى : أتهمز الفار؟ فقال : السّنّور يهمزها»[4]، فالمسئول فى الرواية الأولى قرشى حضرى ، وفى الروايتين الأخريين أعرابيان بدويان ، وعدم معرفة هذين أو ذاك للمعنى الاصطلاحى للهمز أى النطق بالهمزة محققة غير مسهلة ، لا يدل على أنه كان مجهولاً لدى كل الناس ، بل يدل على أنه كان غير شائع بين عامة الناس ، أما الطبقة المثقفة فى عصر صدر الإسلام ، ومنها الإمام ـ على بن أبى طالب ـ فقد كانت تعرف الهمز بمعناه الاصطلاحى ، يفهم ذلك من قول الإمام على : «نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل ـ عليه السلام ـ نزل

---

(١) القاموس المحيط جـ٢ ص ١٩٦ (مادة همز).

(٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص٩٦.

(٣) تاريخ الأدب للأستاذ حفنى ناصف ص٣٤.

(٤) لسان العرب جـ٥ ص٤٢٦ (مادة همز).

بالهمزة على النبى ﷺ ما همزنا[1] ، وشيوع المعنى اللغوى للهمز أكثر من ذيوع المعنى الاصطلاحى لا يخلو من دلالة ، فربما دلّ على "أن لفظ الهمز ليس فى أصله علمًا على صوت من أصوات اللغة»[2].

والهمز بمعنى الضغط هو أحد المعانى اللغوية للنبر ، قال صاحب اللسان فى مادة (نبر) : النبر بالكلام : الهمز ، والنبر مصدر نبر الحرف ينبره نبرًا : همزه ، وفى الحديث قال رجل للنبى ﷺ : يا نبىء الله فقال : لا تنبر باسمى ، والنبر همز الحرف ، ولم تكن قريش تنبر فى كلامها[3].

فالهمز والنبر والضغط إذا وصف الكلام بها أو أضيفت إليه ، كانت ألفاظًا مترادفة ، وكان المقصود منها شيئًا واحدًا «هو كيفية فى أداء الكلام ، وبعبارة أدق : كيفية فى نطق الحروف أو الأصوات اللغوية حين يخصها الناطق بمزيد من التحقيق أو الضغط ، لا يستأثر بذلك حرف دون آخر ، فإذا ضغط الناطق على مقطع الخاء فى الفعل (أخذ) كانت الخاء هنا مهموزة ، وإذا ضغط على مقطع الذال كانت مهموزة ، وكذا إذا ضغط على مقطع الألف فى بدايته كانت الألف مهموزة»[4].

وقد ظلت المفاهيم اللغوية السابقة هى المتبادرة إلى الذهن من لفظ الهمز عند عامة الناس ، «حتى ابتكر الخليل بن أحمد علامة مميزة للهمزة هى عبارة عن رأس عين صغيرة (عـ) فأخذت هذه العلامة الجديدة تلعب دورها فى تصوير صوت الهمزة ؛ وإنما اختار الخليل هذا الرمز بالذات لأنه على ما يُرْوى أحس بقرب مخرج الهمزة من مخرج العين»[5]. فالهمزة اسم مستحدث لا أصلى[6] "أصبح منذ عهد الخليل علما على أحد أصوات اللغة العربية ، وسوف نشير ـ فيما بعد ـ إلى رسم الهمزة قديمًا وحديثًا ، وإلى الأطوار أو المراحل التى مرت بها حتى استقرت على النحو الذى نعرفه الآن .

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب للرضى جـ٣ ص٣٢.

(٢) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين ص١٧.

(٣) لسان العرب جـ٧ ص ٣٩ ، ٤٠ (مادة نبر).

(٤) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص٢٢.

(٥) دراسات فى علم اللغة للدكتور كمال محمد بشر ص ٦٠.

(٦) حاشية الصبان على الأشمونى جـ٤ ص ٢٨٧.

الهمزة فى اصطلاح علماء اللغة الأقدمين :

الهمزة فى اصطلاحهم هى أحد أصوات اللغة العربية ، وعلى وجه التحديد هى الصوت الأول من حروف (أبجد) ، وقد اختلفوا فى بيان مخرجها وعلاقتها بصوت الألف ، فسيبويه[١] كان يرى أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق ، وأنها صوت مجهور شديد ، وتابعه على ذلك من جاءوا من بعده ، كالمبرد[٢] ، وابن جنى[٣] ، وابن يعيش[٤]، والرضى[٥]، وغيرهم . أما الخليل بن أحمد فقد اضطربت الرواية عنه فى تحديد مخرج الهمزة ، فتارة كان يقول : إنها تخرج من أقصى الحلق ، وهاك عبارته من كتاب « العين » :(وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فإذا رُفِّه عنها لانت إلى الياء والواو والألف على غير طريقة الحروف الصحاح)[٦]. وتارة كان يقول : إنها تخرج من الجوف ، وهاك عبارته من العين أيضًا : « فى العربية تسعة وعشرون حرفًا : منها خمسة وعشرون حرفًا صحاحًا لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف جُوْف وهى الواو ، والياء ، والألف اللينة ، والهمزة ؛ وسميت جُوفا لأنها تخرج من الجَوْف ، فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، إنما هى هاوية فى الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجَوْف ، وكان يقول كثيرًا : الألف اللينة ، والواو ، والياء - هوائية ، أى إنها فى الهواء[٧]. وقد نقل المتأخرون[٨] من اللغويين والنحاة عن (العين) عبارة الخليل الأخيرة ، وذاعت فى كتبهم وصارت عندهم هى كل رأى الخليل . ومع ذلك فهناك أمور تشكك فى نسبة هذا الرأى للخليل ، منها :

---

(١) انظر : باب الإدغام فى كتاب سيبويه ج٤ ص ٤٣٣ ، ص ٤٣٤ ط تراثنا.

(٢) انظر : المقتضب للمبرد ج١ ص ١٩٢ ، ص١٩٥.

(٣) انظر : سر الصناعة ج١ ص٥٢ ، ٦٩ ، ٧٨ .

(٤) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ج١٠ ص ١٢٤ ، ص ١٢٩.

(٥) انظر : شرح الشافية ج٣ ص ٢٥١ ، ص٢٥٧ ، ص٢٥٨.

(٦) كتاب العين جـ١ ص٥٨ تحقيق الدكتور عبد الله درويش ، وانظر ٥٢/١ من كتاب العين بتحقيق الدكتورين : مهدى المخزومى ، وإبراهيم السامرائى.

(٧) كتاب العين للخليل بن أحمد جـ١ ص٦٤ ، وانظر ٥٧/١ من كتاب العين بتحقيق د. مهدى المخزومى ، ود. إبراهيم السامرائى.

(٨) انظر: ابن يعيش ج١٠ ص١٢٤ ، وشرح الشافية للرضى ج٣ ص٢٥١ ، ولسان العرب ج١ ص٧.

(١) لم نر أحدًا من تلامذة الخليل ـ وعلى رأسهم «سيبويه» ـ نقل عنه مثل هذا الرأى ، أو أشار إليه ولو بإشارة عابرة .

(٢) هناك من ينسب ذلك إلى غير الخليل صراحة ، فقد نقل صاحب النشر عن مكى بن أبى طالب قوله : «وزاد غير الخليل معهن (أى مع حروف الجوف الثلاثة الألف والواو والياء) الهمزة ، لأن مخرجها من الصدر وهو متصل بالجوف[١] .

(٣) العبارة الأولى التى نقلناها عن كتاب العين ، تناقض العبارة الثانية التى تناقلها المتأخرون كابن يعيش والرضى وابن منظور .

هذا ويمكن التوفيق بين العبارة الأولى والثانية ، فيقال : إن الخليل ربما كان يعد ما دون الحلق المعروف الآن فى علم التشريح (وهو يشمل : الحنجرة والقصبة الهوائية ، والرئتين) مخرجا ، وكان يسميه الجوف ، فى الوقت الذى كان يسمى أعلى نقطة فيه : أقصى الحلق ، وعلى ذلك فأقصى الحلق عنده هو الحنجرة ، غير أن اسم الحنجرة لم يكن معروفًا لديه باعتباره علمًا على أحد مخارج الحروف ، وبهذا يكون جمعه بين الهمزة والألف والواو والياء فى مخرج واحد هو الجوف صحيحًا ولا غبار عليه[٢] ، ولا يؤخذ عليه إلا تسميته الهمزة حرفًا هوائيًا مثل حروف العلة الثلاثة ، لأنها صوت شديد كما قال القدماء ، أو انحباسى كما قال المحدثون .

---

(١) النشر فى القراءات العشر ج١ ص١٩٩ وفيه بعد النص المذكور : (قلت) الصواب اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة ؛ لأنهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة .

(٢) وتوضيح ذلك: أن الجوف الذى نسبت إليه الهمزة فى كلام الخليل يساوى أقصى الحلق الذى نسبت إليه الهمزة فى كلام سيبويه ومن تابعه ، وهذا ما صرح به الخليل فى عبارته الأولى التى نقلناها عنه آنفًا.وأقصى الحلق عند الخليل وسيبويه وغيرهما ينحصر فيما أطلق عليه المحدثون فيما بعد الحنجرة ونسبوا إليه الهمزة. ولما كان الهواء المنضغط فى الجوف الذى هو (القصبة الهوائية ، والرئتان ، وأقصى الحلق = «الحنجرة») قويا وشديدًا بشكل ملحوظ صح أن يعبر الخليل عن مخرج الهمزة بالجوف فى عبارته الثانية ، مثلما صح أن يعبّر ابن جنى عنه بالصدر فى كتابه سر صناعة الإعراب ٤٨/١ - وصح لدى الخليل أن ينسب الألف اللينة والواو والياء إلى الجوف لما وجد أن الهواء فى الرئتين وفى القصبة الهوائية متصلاً بالهواء فى جوف الحلق والفم معها من دون عوائق ، فأطلق عليها جوفية وهوائية ، وهذا قريب من تعبير ابن جنى عنها بالحروف المتسعة ، وذلك فى كتابه سر صناعة الإعراب ٨/١.

وهؤلاء جميعًا كانوا يفرقون بين الهمزة والألف الساكنة ، ويعدون كلا منهما حرفًا أو صوتًا مستقلاً ، وإن كانتا تخرجان من مخرج واحد هو أقصى الحلق عند سيبويه ومن تابعه ، أو الجوف على رأى الخليل .

أما سيبويه فقد فرق بينهما على أساس الحركة والسكون ، وعلى أساس الموقع ، فقال : « والهمزة حرف كالعين تحتمل الحركة والسكون ، وتكون فى أول الكلمة وآخرها ووسطها ، والألف حرف آخر لا يكون إلا ساكنًا ، ولا يكون فى أول الكلمة »[1].

وأما ابن جنى فكان يفرق بينهما على أساس المخرج ، ويرى : « أن مخرج الألف المتحركة التى هى همزة من الصدر ، ومخرج الألف فوقها من أول الحلق »[2].

ويظهر أن الذى دفع ابن جنى إلى أن يقول ذلك ـ مخالفًا ما ذكره فى موضع آخر من أن الهمزة والألف تخرجان من الحلق ـ هو رغبته فى التوفيق بين قولى الخليل وسيبويه ، واستحسانه لهما جميعًا ، وربما يكون ابن جنى قد أراد فى هذا الموضع أن يفسر قول الخليل بأن الهمزة والألف تخرجان من الجوف ، غير أن العبارة قد حدث فيها سهو أو تحريف وصوابها هكذا : "إن مخرج الألف المتحركة التى هى همزة من أول الحلق ، ومخرج الألف فوقها من الصدر » احتمالان جائزان ، وبذلك التفريق بين الهمزة والألف ، تبلغ الحروف الأبجدية عند هؤلاء تسعة وعشرين حرفًا ، أولها الهمزة وآخرها الياء ، وهى موزعة على سبعة عشر مخرجًا عند الخليل ، وعلى ستة عشر مخرجًا عند سيبويه ومن تابعه .

وهناك طائفة أخرى كانت لا تفرق بين الهمزة والألف الساكنة ، وتعد الحروف الأبجدية ثمانية وعشرين حرفًا ، ومن هذه الطائفة أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) الذى حكى عنه السيوطى أنه كان (يرى ترادف الهمزة والألف ، فيقول : الهمزة هى

---

(١) حاشية الصبان على الأشمونى ج٤ ص ٢٨٦ مطبعة عيسى البابى الحلبى .
(٢) سر صناعة الإعراب ج١ ص ٤٨.

الأصل ، والألف الساكنة هى الهمزة ترك همزها) [1] ، ولم تبد للفراء حجة فيما ذهب إليه إلا قوله : إن الهمزة هى الأصل ، وهذا لا يكاد يتضح له وجه ، إلا عند أكثر أهل الحجاز ، الذين يخففون الهمزة ، خلافًا للتميميين ومن يحققونها من العرب ، على أنها فى حالة التخفيف عند الحجازيين لا تأخذ البتة صورة الألف الساكنة»[2] . وقريب من ذلك رأى أبى العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) الذى حكى ابن جنى عنه أنه كان يعدها ـ أى الحروف الأبجدية ـ ثمانية وعشرين حرفًا ، ويجعل أولها الباء ، ويدع الألف من أولها ، ويقول : هى همزة ، ولا تثبت على صورة واحدة وليست لها صورة مستقرة ، فلا أعتدها مع الحروف التى أشكالها محفوظة معروفة»[3].

ويبدو أن اضطراب الفراء والمبرد فى أمر الهمزة مرجعه أمران :

أ - الخلط بين حالتى النطق والكتابة ، فالهمزة التى فى أول الكلمة تكتب ألفًا ، وإن كانت تنطق همزة ، مع أن العبرة فى إثبات الحروف ـ كما قال ابن جنى ـ بالنطق لا بالخط ، لوجود اللفظ قبل الخط ، والهمزة موجودة فى اللفظ كغيرها من الحروف[4] .

ب - صيرورة الهمزة إلى الألف والواو والياء فى حالة التخفيف ، على لغة أهل الحجاز ، والمفروض أن انقلابها فى بعض أحوالها لعارض ، كتخفيف أو إبدال ، لا يخرجها عن كونها حرفًا ، ألا ترى أن انقلاب غيرها فى بعض أحواله لعارض لا يخرجه عن كونه حرفًا[5]!!

هذا وقد نبه ابن جنى إلى فساد ما ذهب إليه المبرد من إسقاط الهمزة من أول الحروف الأبجدية ، فذكر أن الهمزة موجودة فى أول الحروف الهجائية وإن كانت مصورة بصورة الألف ، ومن أدلة ذلك قوله :

(١) أن الهمزة لو أريد تحقيقها البتة ، لوجب أن تكتب ألفًا على كل حال ، يدل

---

(١) حاشية الصبان على الأشمونى ج٤ ص ٢٨٦.

(٢) من مباحث الهمزة فى العربية د. عبدالحليم النجار ص٥.

(٣) سر صناعة الإعراب ج١ ص٤٦.

(٤) سر صناعة الإعراب ج١ ص ٤٨.

(٥) المرجع السابق نفسه.

على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعًا لا يمكن فيه تخفيفها ، ولا تكون فيه إلا محققة ، لم يجز أن تكتب إلا ألفًا ، مفتوحة كانت أو مضمومة أو مكسورة ، وذلك إذا وقعت أولاً ، نحو : أَخذ وأُخذ وإبراهيم ، فلما وقعت موقعًا لابد فيه من تحقيقها اجتمع على كتبها ألفًا البتة،وعلى هذا وجدت فى بعض المصاحف : (يستهزأون) بالألف قبل الواو ، ووجد فيها ـ أيضًا ـ (وإن من شيأٍ إلا يسبح بحمده) بالألف بعد الياء ، وإنما ذلك لتوكيد التحقيق[1].

(٢) أن كل حرف سميته ففى أول حروف تسميته لفظه بعينه ، ألا ترى أنك إذا قلت : (جيم) فأول حروف الحرف جيم ، وإذا قلت : (دال) فأول حروف الحرف دال ، وإذا قلت : (خاء) فأول ما لفظت به خاء ، وكذلك إذا قلت : (ألف) فأول الحروف التى نطقت بها همزة ، فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفًا[2] .

على أن هذه القاعدة التى ذكرها ابن جنى لا تنطبق على صوت الهمزة لأن الموجود فى أول تسميتها حرف الهاء ، لا حرف الهمزة ، كما يلاحظ ـ أيضًا ـ من وجود حرف الهمزة فى أول تسمية الألف ، أن الألف كانت تعنى ـ عند واضع الحروف الهجائية ـ صوت الهمزة لا الألف الساكنة التى هى الفتحة الطويلة ، وعلى هذا الأساس ، فالألف التى فى أول حروف الهجاء ترادف الهمزة ، لكن الألف المشار إليها ألف متحركة وليست ساكنة ، وبذلك يظهر عدم صواب رأى الفراء فى قوله بترادف الهمزة والألف الساكنة (الفتحة الطويلة) وعدم دقة القاعدة التى ذكرها ابن جنى .

إذن لا نشك فى أن رأى الطائفة الأولى هو الأرجح ، وأن الهمزة غير الألف الساكنة وإن كانت هناك علاقة بينهما ، وخلاصة ذلك ما يأتى :

أ - أن الهمزة صوت ساكن أى ليس بحركة؛ لذا فهى تقع فى أول الكلام ووسطه وطرفه ، وتقبل الحركة .

---

(١) سر صناعة الإعراب ج١ ص٤٦ ، ٤٧.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٤٧.

أما الألف فهى لا تقبل الحركة ولا تقع فى الابتداء ؛ لأنها حركة ولا يبدأ الكلام بحركة .

ب- أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق ، أما الألف فتخرج من الصدر أو من الجوف .

جـ- أن الهمزة غير الألف ، وإنما سموا الهمزة ـ فى بعض المواضع ـ ألفًا لأنها على صورتها فقط[1].

د - يوجد بين الهمزة والألف العموم والخصوص الوجهى ، فالحرف الأول من حروف (أبجد وأحمد) يسمى ألفًا ويسمى همزة أو (ألفًا مهموزة) والحرف الأوسط من (قال) يسمى ألفًا فقط ، والحرف الأوسط من (سئل) والأخير من (جاء) يسمى همزة فقط[2].

الهمزة فى اصطلاح المُحْدَثين :

اتفق أغلب علماء اللغة والأصوات فى العصر الحديث ، على أن الهمزة صوت صامت حنجرى انفجارى ، وهو يحدث بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين ، وذلك بانطباق الوترين انطباقًا تامًا ، فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة ، يضغط الهواء فيما دون الحنجرة ثم ينفرج الوتران ، فينفذ الهواء من بينهما فجأة ، محدثًا صوتًا انفجاريًا[3] ، وعلى هذا الأساس قالوا : إن الهمزة تخرج من الحنجرة أو من فتحة المزمار ، أو من لسان المزمار ، وهذه التعبيرات عن مخرج الهمزة كلها تؤدى معنى واحدًا ، ولا اختلاف بينها إلا فى المصطلح ، ولا مشاحة فى المصطلحات ، وإن كان الأجدر ما ينادى به البعض من ضرورة توحيد المصطلح اللغوى .

---

(١) الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب للدكتور عبد العظيم الشناوى ص٣.

(٢) الفرقان الأول والثانى روعى فيهما المصطلح الصوتى للهمزة والألف. أما الثالث والرابع فقد روعى فيهما المصطلح الكتابى.

(٣) علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربى ص ١٧٠.

وبعض المحدثين ما زال يتابع الأقدمين فى أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق وأنها صوت مجهور[1].

وانقسمت الطائفة الأولى فى وصف هذا الصوت إلى فريقين :

فريق يتابع «دانيال جونز» ، فيقرر : «أن الهمزة صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقًا تامًّا ، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين»[2]. والفريق الآخر يتابع «هفنر» فيرى :«أن الهمزة صوت حنجرى انفجارى مهموس»[3]. لأن الهمس ـ عندهم ـ يعنى عدم التذبذب[4].

والواقع أن كلا من الفريقين قد أصاب ، حين نفى عن الهمزة صفة الجهر ، وكل ما هنالك أن كل فريق أصدر حكمه بناء على نظرة إلى الحنجرة تختلف عن نظرة الآخر ، فجونز قد وجد أن للحنجرة ثلاث وظائف :

(١) الاحتباس (وذلك فى الهمزة وحدها).

(٢) الانفتاح بدون ذبذبة (وذلك فى المهموسات).

(٣) الانفتاح مع الذبذبة (وذلك فى المجهورات).

أما «هفنر» فقد اقتصر على أن للحنجرة وظيفتين : هما ذبذبة الأوتار الصوتية وهى صفة الجهر ، وعدم ذبذبتها وهى صفة الهمس ، ويدخل فى حالة عدم الذبذبة احتباس الحنجرة وذلك فى الهمزة[5].

---

(١) انظر : دراسات فى فقه اللغة د. صبحى الصالح ص ٣٢٢ ، ٣٢٥. وتاريخ الأدب للأستاذ حفنى ناصف ص٦١ وفقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ص١٦٠ ، ١٦١ ، ودائرة المعارف الإسلامية ص٧ من المجلد الأول ـ العدد الأول .

(٢) الأصوات اللغوية ص٩١ وقد سار على هذا الرأى أيضًا د. كمال بشر فى كتابه علم اللغة ـ القسم الثانى «الأصوات» ص١٤٣ ، والدكتور محمود السعران فى كتابه علم اللغة ص١٧٠ ، د. أحمد مختار فى دراسة الصوت اللغوى ص١٠٧.

(٣) العربية ولهجاتها د. عبدالرحمن أيوب ص١٢ ط ١٩٦٨م.

(٤) أصوات اللغة د. عبدالرحمن أيوب ص١٨٣ ، وقد سار على هذا الرأى د. تمام حسان فى كتابه مناهج البحث فى اللغة ص٩٧ ، ود. عبدالصبور شاهين فى كتابه : فى التطور اللغوى ص٦٦ ، ود . هنرى فليش فى كتابه العربية الفصحى ص٣٨ .

(٥) الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ص١٤٣ ، والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص٢٤ ، وأثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ص١٦٧.

ويبدو أن نظرة "دانيال جونز" إلى الحنجرة أكثر دقة وضبطًا لحالات انطلاق الهواء من الرئتين، لأنه « إذا انطلق إما أن يؤثر فى الأوتار الصوتية، فيحدث الجهر، أو لا يؤثر فيحدث الهمس، واحتباس الهواء فى الحنجرة شىء جديد، وحال أخرى مغايرة لسابقتيها، فالأولى ملاحظتها فى صوت الهمزة، وبخاصة أننا فى مجال البحث العلمى الدقيق[1].

حول آراء القدماء والمحدثين :

ظهر لنا من العرض السابق لآراء القدماء والمحدثين أنهم يتفقون فى وصف الهمزة بأنها صوت شديد، لكنهم يفترقون فى أمرين هامين :

أولهما : فى مكان خروج الهمزة، هل هو الحلق كما قال الأقدمون، أو الحنجرة كما ذهب المحدثون؟؟ .

ثانيهما : هل الهمزة مجهورة كما قال الأقدمون، أو غير مجهورة كما ذهب المحدثون؟؟ .

الواقع أن المحدثين قد بنوا رأيهم فى تحديد مخرج الهمزة وصفاتها على تجارب علمية قاموا بإجرائها فى معامل الأصوات الحديثة، ومثل هذه المعامل لم تتح للأقدمين، ولم تكن معروفة لديهم، ومع ذلك لم يبعدوا عن الصواب كثيرًا، فقولهم عن الهمزة إنها تخرج من أقصى الحلق يمكن قبوله بافتراض واحد ـ كما قال الدكتور كمال بشر ـ وهو أنهم ربما أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها، وتكون الحنجرة ـ حينئذ ـ هى المقصودة بأقصى الحلق[2] .

ويقوى هذا الاحتمال أنهم قسموا الحلق إلى ثلاث مناطق :

- أقصى الحلق وتخرج منه الهمزة والألف والهاء .
- وأوسط الحلق وتخرج منه العين والحاء .

---

(١) ابن جنى اللغوى ص٤٥٨ د. عبد الغفار هلال = [صـ ٥٩٩ عبقرىّ اللغويين] ، و (راجع علم اللغة العام ـ القسم الثانى «الأصوات» ص١٤٣ طبعة ١٩٧٠).

(٢) علم اللغة العام ـ القسم الثانى «الأصوات» ص١٤٦.

- وأدنى الحلق إلى الفم وتخرج منه الغين والخاء .

بل أغلب الظن ، أن الحلق فى عرف الأقدمين ، كان يشمل الحنجرة ويشمل نهاية الحنك أيضًا ، والعلم الحديث قد أثبت فعلاً أن الهمزة والهاء تخرجان من الحنجرة ، وأن الغين والخاء تخرجان من مؤخر اللسان حين يرتفع ويتصل بالطبق الأعلى ، وعلى ذلك يكون فَهْم الأقدمين للاصطلاح (حلق) أوسع من فهمنا له حتى إنه ليشمل ما بين مؤخر اللسان والطبق[١] ، ويشمل الحنجرة أيضًا .

أما الأمر الثانى وهو وصف الأقدمين للهمزة بالجهر ، فيبدو أنهم حين نطقوها ليتعرفوا مكان خروجها ، نطقوها مصاحبة لإحدى الحركات ـ كما هو مذهب الخليل فى طريقة ذوق الحروف ـ والحركات كلها مجهورة ، فلما أحسوا بالجهر الناجم من الحركة المصاحبة ، ظنوا أنه من الهمزة لا من الحركة المصاحبة[٢]. أو يمكن القول بأنهم حين وصفوا الهمزة بالجهر ، كانوا يقصدون الهمزة المسهلة (بين بين) وهى التى لا يكون إقفال الأوتار الصوتية حين النطق بها ، إقفالاً تامًا ، بل يكون إقفالاً تقريبيًا ، وفى حال التسهيل هذه يحدث الجهر[٣].

بقى أمر ثالث : وهو كيف تَأَتَّى للأقدمين أن يضعوا الألف مع الهمزة والهاء ، وينسبوها إلى مخرج واحد هو أقصى الحلق ، مع أن الألف انطلاقى لا يتحكم فيه عضو بعينه هو أقصى الحلق أو الحنجرة كما يحدث مع الهمزة والهاء؟؟ إن دل هذا على شىء ، فإنما يدل على العلاقة القوية بين الهمزة والألف القائمة فى أذهان الأقدمين ، وإذا كنا قد اعتذرنا للرواية المضطربة عن الخليل فى جعل الهمزة من أقصى الحلق تارة ، ومن الجوف مع حروف المد واللين تارة أخرى ، بأنه ربما كان يطلق الجوف على ما دون الحلق المعروف الآن فى علم التشريح ، بحيث يشمل الحنجرة والقصبة الهوائية والرئتين ، فيمكن الاعتذار عن فعل سيبويه فى جعل الألف مع الهمزة من أقصى الحلق ، بأنه أراد بأقصى الحلق هذا المخرج الكبير أى

---

(١) انظر: مناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان ص١٠١ ، ١٠٢.

(٢) انظر : القسم الثانى من علم اللغة العام - الأصوات ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦.

(٣) انظر : مناهج البحث فى اللغة ص٩٧.

ما دون الحلق فى عرف علم التشريح الحديث ، إلا أنه اقتصر على أحد اسميه اللذين سمعهما من أستاذه الخليل ، فسماه أقصى الحلق ، ولم يذكر الجوف الذى هو الاسم الآخر له عند الخليل .

ذلك تصور خاص يقرب بين وجهتى الخليل وسيبويه ، ولا يباعد بينهما ، على أنه يمكن الاعتذار ـ أيضًا ـ عن فعل سيبويه بواحد مما يأتى :

(١) يبدو أن سيبويه حين ذكر الهمزة قصد بها الهمزة المحققة ، وحين ذكر الألف كان يقصد بها الألف القريبة من الهمزة ، وهى التى كانت تسمى همزة بين بين .

(٢) ويمكن التعليل لذكر الأقدمين صوت الألف بين أصوات الحلق بأنهم ربما أرادوا :« تفسير المقصود من كلمة الهمزة التى ـ فيما يبدو ـ كانت مصطلحًا صوتيًا غير مألوف ، فى تلك الأيام ، أو حديث العهد بين الدارسين ، فاقتضى توضيح صوت الهمزة ذكر مرادف له أكثر شهرة وألفة وهو كلمة (الألف)[١].

(٣) من الممكن ـ كذلك ـ أن يكون القدماء قد خُدعوا برسم الهمزة المحققة ، حين وجدوها تكتب ألفًا فى كل حال ، فظنوا أن الهمزة والألف يمثلان حرفًا واحدًا ، ومن حقهما أن يكونا من مخرج واحد أيضًا .

(٤) ويحتمل أن سيبويه حين لاحظ وجود ما سماه بصوت الصدر (الجهر) مع الألف نسبها إلى هذا الموضع ، ولكن كان على سيبويه أن يفرق بين ما هو حركة أصلية ، وحركة ثانوية ، أى أن حركة الأوتار هنا التى تؤدى إلى ما سماه سيبويه بصوت الصدر ، ليست حركة أصلية ، وبالتالى لا يعدّ الوتران مخرجًا ، وإلا لصح نسبة كل الأصوات المجهورة إلى هذا الموضع[٢].

وبعد : نعود فنقول : إن الأقدمين لم يبعدوا عن الصواب كثيرًا ، ما دامت كل هذه الاحتمالات قائمة ، ولهم فضل السبق فيما قدموه من نتائج صوتية مهما كان نصيبها من الصحة ، لأنه إذا كانت التسجيلات الطيفية الحديثة للهمزة قد أظهرتها

---

(١) الأصوات اللغوية دكتور إبراهيم أنيس ص ١١٦.

(٢) دراسة الصوت اللغوى . دكتور أحمد مختار عمر ص٢٩٨ ط: أولى ١٩٧٦م .

بصور متنوعة ، وصوتًا غير مستقر ، ولا يأخذ شكلاً معينًا محددًا ، وصوتًا شبيهًا بالعلة فى بعض السياقات ـ فهى فى الأول : تظهر كانفجار متبوع بفجوة سكوتية ، وأحيانًا يتبع الانفجار بضجيج منخفض ، وفى حالات أخرى تظهر الهمزة كصوت انزلاقى قصير تبدأ به حزم العلة الثانية ، وفى الوسط ـ فيما عدا بين علتين ـ تظهر كفراغ سكوتى ، وبين علتين لا تظهر كفراغ ، ولكن كصوت انزلاقى شبيه بالعلة ـ فكيف ننتظر من القدماء بوسائل ملاحظتهم البسيطة أن يصلوا إلى أوجه الصواب فيها »؟[1].

وننبه ـ هنا ـ قبل أن نغادر الحديث عن مخرج الهمزة وصفاتها إلى أن علماء التجويد والقراءات ، قالوا ـ فى ذلك ـ بما قال به سيبويه ، فهى عندهم تخرج من أقصى الحلق ، وصوت شديد مجهور[2].

* * *

مكان الهمزة من الكلمة :

من المعلوم أن الهمزة لا تختص بمكان فى الكلمة العربية ، فتارة تكون فى صدر الكلمات نحو : أحمد وإبراهيم ، وتارة تكون فى وسطها نحو : سأل وجؤنة ومئرة ، وآونة تكون فى طرفها نحو : باء ، وجاء ، والسماء ، والبناء .

وقد رأى بعض القدماء أن وقوع الهمزة فى وسط الكلمة أو فى طرفها من خصائص اللغة العربية ، ومن العبارات الدالة على ذلك ، قول أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) : « فأول الحروف الهمزة ، والعرب تنفرد بها فى عرض الكلام ، مثل قرأ ، ولا تكون فى شىء من اللغات إلا ابتداء »[3]، وقد جرى على ذلك بعض المُحْدَثين ، كالأب « أنستاس الكرملى » حيث يقول : « وننبه القارئ على أن الهمزة فى أول الكلمة موجودة فى جميع اللغات ، فلا عبرة له هنا ، أما مهموز العين

---

(١) دراسة الصوت اللغوى ص٢٩٧ بالأصل والهامش .

(٢) انظر: النشر فى القراءات العشر ج١ ص١٩٩ ، ص٢٠٣ - ط : دمشق سنة ١٣٤٥هـ .

(٣) كتاب الصاحبى لابن فارس ص٧١ نشر وتصحيح المكتبة السلفية مطبعة المؤيد .

واللام فخاصان بالعربية»[1]، وجرى على ذلك ـ أيضًا ـ الشيخ طاهر بن العلامة صالح الجزائرى ، فجعل وقوع الهمزة فى وسط الكلمة أو فى آخرها من الأمارات الدالة على كونها عربية ، ونص عبارته التى يقول فيها ذلك «وقد يعرف كون الكلمة من ذلك عربية ، من غير رجوع إلى كتب اللغة ، وذلك فى مثل رأى ورؤية ، مما فيه همزة على هذه الصورة ، فإن الفارسية وأكثر اللغات المشهورة ، لا يوجد فيها مثل ذلك»[2].

ويبدو أن ابن فارس لم يكن يقصد اللغات السامية حين نفى وجود الهمزة فى وسط الكلمة فى غير اللغة العربية ، بل الأقرب إلى الاحتمال أنه كان يتحدث عن خصائص اللغة العربية فى مقابلة اللغات الأعجمية التى كانت معروفة للأقدمين من علماء اللغة ، لأن هؤلاء لم تكن لهم درايات باللغات السامية[3].

* * *

موقف بعض اللغات من الهمزة :

أما فى اللغات السامية ، فقد تميزت الهمزة لدى واضعى الأبجدية من الساميين القدماء بوصفها حرفًا أو صوتًا ساكنًا ، ووضعوا لها رمزًا كتابيًا مستقلاً ، وأطلقوا عليها اسمًا خاصًا هو (الألف) الذى يقال إن معناه (الثور) ، لأن شكل الألف فى الكتابات السامية القديمة ، كان يشبه رأس الثور ، وقد حافظوا على كتابتها حتى بعد أن سهلت فى بعض اللغات السامية ، وأصبحت فى النطق حرف مد ، فالهمزة فى أول الكلمة العبرية وفى وسطها متميزة نطقًا وكتابة مثل الكلمات : אם = أم ، אב = أب ، וולף = ذئب ، שאל = سأل . أما فى آخر الكلمة العبرية ، فقد غلب تسهيلها إلى حرف مد فى النطق فقط ، مع الإبقاء على الرمز الكتابى الخاص بالهمزة حتى يتميز فى الكتابة مهموز الآخر من الفعل الناقص مثل : לקרוא = قرأ ، התחלה = بدأ .

---

(١) نشوء العربية ونموها واكتهالها ص١٣ .

(٢) كتاب التقريب لأصول التعريب ص١١ .

(٣) انظر: من مباحث الهمزة فى العربية ص٩ بالأصل والهامش .

وأما فى السوريانية فقد غلب تسهيلها إلى حرف مد فى وسط الكلمة وفى آخرها مثل : ذئب = ﻟﻮﻟﻮ ، قرأ = ﻗﺮﻳﺎ . وهكذا يختلط فى هذه اللغة الفعل المهموز الآخر بالفعل الناقص ، أى أن موقف السوريانية هنا يشبه - إلى حد كبير - موقف الحجازيين من الهمزة ، وأما الحبشية فهى تحرص دائمًا على الهمزة (التى كانت تعرف بالألف) نطقًا وكتابة[1].

وقد نسمع الهمزة المحققة فى بعض اللغات الأوربية ولهجاتها ، كما فى لهجات اللغات الانجليزية فى «اسكتلندا» ، وفى نطق العامة من أهالى لندن قد نسمع الهمزة وقد حلت محل التاء فى كلمات مثل : Hot - Bottle - little ، ويتصور الناطق أنه ينطق بالتاء فى مثل هذه الكلمات ، ولكن الدارسين للأصوات من الإنجليز يدركون أنها همزة ، ويصفونها فى كتبهم ويطلقون عليها ذلك المصطلح glottal stop ، غير أن الهمزة الإنجليزية تعد مظهرًا من مظاهر اللهجات ، ولا يعترف بها كفونيم من فونيمات الإنجليزية المشتركة ، إذ لا يغير وجودها أو النطق بها من وظيفة الكلمة أو دلالتها ، ولكن الهمزة فى اللغة الدنيمركية قد تقوم بدور دلالى ، أى أنها تشبه الساميات فى هذا[2]، فالهمزة صوت هام فى اللغة الفصحى فى كل من الألمانية والعربية والدنيمركية وغيرها[3].

وكذلك توجد الهمزة فى الفرنسية وفى غيرها ، ولكنها دائمًا فى صدر الكلمة ولا تنطق إلا فى ابتداء الكلام ، أما فى الإدراج والوصل ، فهى دائمًا إما مخففة أومسهلة[4]، بل كثيرًا ما نجد الهمزة الواقعة ابتداء فى بعض هذه اللغات كما فى الفرنسية مثل : homme تعامل معاملة همزة الوصل فى العربية ، فتسقط مثلاً إذا دخلت عليها أداة التعريف مثل : l'homme[5].

---

(١) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٩٥ الطبعة الرابعة .

(٢) المرجع السابق ص٩٦ .

(٣) دراسة الصوت اللغوى ص١٠٧ ط أولى .

(٤) المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها للأستاذ محمد الأنطاكى ج١ ص٨٤ .

(٥) من مباحث الهمزة فى العربية ص٩ .

والآن يمكن أن نفيد مما سبق عدة أمور :

(١) شيوع الهمزة فى اللغات السامية ، أكثر كثيرًا منها فى الفصيلة الهندية الأوربية[١].

(٢) الهمزة حظيت فى اللغات السامية برمز كتابى خاص ، ولم يعترف بها كفونيم مستقل فى معظم اللغات الأوربية ، فلم يكن لها رمز كتابى مستقل .

(٣) إن ظاهرة تسهيل الهمزة وجدت فى اللغة العربية وفى اللغات السامية أيضًا .

(٤) إن موقف اللغات السامية من ظاهرة الهمز والتسهيل ، يشبه إلى حد كبير موقفى بنى تميم والحجازيين منها ، فالحبشية تحقق الهمزة ـ غالبًا ـ كما يفعل بنو تميم ، أما العبرية والسوريانية فتسهل الهمزة وسطًا وآخرًا كما يفعل الحجازيون ، والسوريانية بالحجازية أشبه .

* * *

الهمزة فى اللغة العربية : (أنواعها) :

يوجد فى اللغة العربية نوعان من الهمزة :

النوع الأول : همزة الوصل : وهى كل همزة ثبتت فى الابتداء وسقطت فى الدرج ، وقد اختلف فى همزة الوصل ، هل وضعت همزة من أول الأمر أم أن أصلها الألف؟ قولان : وإن كان الأول هو الصحيح ، ولها عدة خصائص : منها أنها لا تكون إلا سابقة ، ولا تختص بقبيل ، فتدخل على الاسم والفعل والحرف ، ولا تثبت فى الدرج إلا لضرورة كما فى قول الشاعر :

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمة على حدثان الدهر منى ومن جُمْل[٢]

---

(١) الأصوات اللغوية ص٩٠.

(٢) البيت من بحر الطويل ، الشيمة = الخلق والطبيعة.
حدثان الدهر « النوائب والنوازل. جُمْل (بضم الجيم) « اسم امرأة. وهو شاهد على ثبات همزة الوصل فى درج الكلام ووصله على سبيل الضرورة الشعرية ؛ لأن الهمزة تقابل العين من (مفاعيلن) ، فلو حذفت لأدى ذلك إلى التقاء ساكنين ووجوب حذف أحدهما ، وحينئذ تختل التفعيلة ، ويختل الوزن الشعرى ، ولذلك قطعت الهمزة من (اثنين) فى الكلام المتصل.

واختلف فى سبب تسميتها بهمزة الوصل ، فقيل اتساعًا ، وقيل لأنها تسقط فيتصل ما قبلها بما بعدها ، وهذا قول الكوفيين ، وقيل لوصول المتكلم بها إلى النطق بالساكن ، وهذا قول البصريين ، وكان الخليل يسميها سلّم اللسان[1]. وقال الصبان : كان المناسب أن تسمى همزة الابتداء[2].

وقد أجمل ابن مالك المواضع القياسية لهمزة الوصل فى هذين البيتين :

وهو لفعل مـاض احتـوى علـى ... أكثر مـن أربعـة نحـو انجلـى
والأمـر والمصـدر منـه وكـذا ... أمر الثلاثى كاخش وامض وانفـذا

وأجمل المواضع السماعية فى قوله :

وفى اسم است ابـن ابـنم سمـع ... واثنين وامـرئ وتأنيـث تبـع .
وأيـمن . . . .

فهذه عشرة أسماء[3] .

وقد اختلف فى همزتى (أيمن) و(أل) ، أما أيمن المخصوص بالقسم فألفه للوصل عند البصريين ، وللقطع عند الكوفيين ، لأنه عندهم جمع يمين ، وعند سيبويه اسم مفرد من اليمن وهو البركة[4] ، وأما همزة أل فمذهب ابن مالك أنها للوصل سواء كانت للتعريف أو موصولة أو زائدة . ومذهب الخليل أن همزة أل للقطع وصلت لكثرة الاستعمال ، واختاره الناظم فى غير هذا الكتاب ، ومثل أل (أم) فى لغة أهل اليمن[5].

ويبدو أن مذهب الخليل والكوفيين فى هاتين الهمزتين هو الراجح لما يأتى :

أ - إن نطقهما فى ابتداء الكلام هو نطق الهمزة المحققة ، ولهما صفات ما سموه بهمزة القطع ، أما سقوطهما فى درج الكلام ، فهو ظاهرة صوتية اقتضاها وصل الكلام بعضه ببعض .

---

(١) شرح الأشمونى ج٤ ص٢٧٣ ط: عيسى البابى الحلبى (بتلخيص).
(٢) حاشية الصبان - الموضع السابق.
(٣) شرح الأشمونى ج٤ ص٢٧٤.
(٤) انظر: شرح الأشمونى ج٤ ص٢٧٦.
(٥) المرجع السابق ج٤ ص٢٧٧.

ب - لزوم الهمزة فى أل وأيمن حركة واحدة هى الفتح دليل على مخالفتها لهمزة الوصل التى تتشكل حركتها طبقًا للسياق الصوتى الذى تقع فيه[1] .

ولهمزة الوصل ـ بالنسبة إلى حركتها ـ سبع حالات :

(١) وجوب الفتح ، وذلك فى المبدوء بها أل .

(٢) وجوب الضم ، وذلك فى نحو : انطلق واستخرج المبنيين للمفعول ، وفى أمر الثلاثى المضموم العين فى الأصل نحو : اُقتل واُكتب بخلاف امشوا وامضوا .

(٣) رجحان الضم على الكسر وذلك فيما جعلت ضمة عينه كسرة عارضة نحو : اغزى .

(٤) رجحان الفتح على الكسر وذلك فى أيمن وأيم .

(٥) رجحان الكسر على الضم وذلك فى كلمة اسم .

(٦) جواز الكسر والضم والإشمام ، وذلك نحو : اختار وانقاد مبنيين للمفعول .

(٧) وجوب الكسر وذلك فيما بقى وهو الأصل[2] .

وقد ذهب البصريون إلى أن أصل همزة الوصل الكسر ، وإنما فتحت فى بعض المواضع تخفيفا ، وضمت فى بعضها إتباعًا ، وذهب الكوفيون إلى أن كسرها فى اضرب ، وضمها فى اسكن إتباعًا للثالث ، وعلى مذهبهم لم تفتح فى اعلم لأنها لو فتحت لالتبس الأمر بالخبر[3].

النوع الثانى : همزة القطع : وهى الهمزة الثابتة أصالة فى الابتداء والوصل والانتهاء ، وهذا لا يمنع ما يرد عليها عرضا من تخفيف أو حذف ـ كما سيأتى ـ ، وهمزة القطع قابلة للحركات الثلاث كما هى قابلة للسكون[4]. ومواضع همزة القطع هى كل ما عدا مواضع همزة الوصل القياسية والسماعية .

---

(١) انظر : دراسات فى علم اللغة من ص١٦٨ إلى ص ١٧٣ دكتور كمال بشر.

(٢) باختصار من شرح الأشمونى ج٤ ص٢٧٨.

(٣) المرجع السابق ج٤ ص٢٧٩.

(٤) انظر: من مباحث الهمزة فى العربية ص٨.

ويفرق بين همزة الوصل وهمزة القطع فى الأسماء بالتصغير ، فإن ثبتت فى التصغير فهى همزة قطع ، وإن سقطت فهى همزة وصل نحو همزة (أب وابن) فالهمزة فى (أب) همزة قطع لأنها ثبتت فى التصغير ؛ لأنك تقول فى تصغيره (أُبَىّ) ، والهمزة فى (ابن) همزة وصل لأنها تسقط فى التصغير ، لأنك تقول فى تصغيره : (بُنَىّ) . ويفرق بين همزة الوصل وهمزة القطع فى الأفعال بأن تكون ياء المضارعة منها مفتوحة أو مضمومة ، فإن كانت مفتوحة فهى همزة وصل مثل (استكبر)؛ لأنك تقول فى المضارع يستكبر ، وإن كانت مضمومة فهى همزة قطع نحو : أجمل وأحسن وما أشبه ذلك ، لأنك تقول فى المضارع : يُجمل ويُحسن وما أشبه ذلك[1].

* * *

هذه آراء القدماء حول همزة الوصل والقطع ، أما المُحْدَثُون فمنهم من نفى وجود همزة الوصل فى العربية ، ويرى أن ما سماه القدماء بهمزة الوصل ، ليس فى الحقيقة همزة ، وإنما هو نوع من التحريك الذى يسهل عملية النطق بالساكن ، وقدم على هذه الدعوى أدلة كثيرة نذكرها بإيجاز شديد : -

(١) أن طبيعة التكوين الصوتى للهمزة وما فى نطقها من صعوبة كبيرة يناقض استخدامها كوسيلة للتيسير والتسهيل فى التوصل إلى النطق بالساكن .

(٢) أن الهمزة وحدها صوت ساكن خال من الحركة ، فكيف نبدأ بالساكن على حين نريد التخلص منه؟ .

(٣) أن تعدد حالات حركة همزة الوصل من وجوب الفتح أو الضم أو الكسر أو رجحانه أو إشمامه ، لوحظ فيها أنها تناسب نوع الحركة التالية لها .

---

(١) انظر: كتاب أسرار العربية ص١٥٩ طبعة ليدن ١٨٨٦م لكمال الدين أبى البركات الأنبارى. وفى لسان العرب فى أول باب الهمزة : أصول الألفات ثلاثة : ألف أصلية وهى فى الثلاثى من الأسماء مثل ألف وإلف ، وألفٌ قطعية وهى فى الرباعى من الأسماء مثل أحمد وأحمر ، وألف وصلية وهى فيما جاوز الرباعى مثل استنباط واستخراج ، وهى كذلك فى الأفعال فالأصلية مثل أكل ، والقطعية مثل: أحسن ، والوصلية مثل: استخرج .

(٤) أن همزة الوصل لو كانت صوتًا صامتًا ، لكان لها صفات الصوامت وخواصها ، ولم تنفرد بوظيفة الوصل أو التوصل إلى النطق بالساكن .

(٥) أن اللغويين فرقوا بين ما سموه همزة وصل ، وبين همزة القطع فى حالات كثيرة فقد نص البصريون على جواز نقل حركة همزة القطع إلى الساكن قبلها ، وامتناع ذلك مع همزة الوصل ، كذلك فرقوا بينهما وبين حركاتهما فى الرسم .

(٦) إمكانية الابتداء بالساكن فى بعض اللغات السامية كالعبرية والسريانية يدل على احتمال خلو اللغة العربية من هذه الهمزة ، ولو فى فترة سابقة حيث كان من الجائز النطق بالساكن آنذاك[١].

وليس لنا كبير تعليق على ما سبق ، إلا أن نقول : إن همزة الوصل موجودة فلا يصح نفيها من اللغة العربية ، وإن صح تفسيرها بأنها نوع من التحريك ، وتبقى بعد ذلك التفسير كما هى همزة وصل ، لأن ذلك مصطلح تعارف الناس عليه من قديم الزمان ، كما أن إمكانية الابتداء بالساكن فى اللغات السامية ، لا يدل على وجوده فى اللغة العربية التى عرفت للدارسين من الجاهلية إلى صدر الإسلام إلى الآن ، وإنما قد يدل على وجوده فى اللغة السامية الأم فقط ، قبل أن تنشعب منها اللغة العربية .

كذلك يبدو أن الدكتور بشر أخذ هذا الرأى من قول الأقدمين بأن أصل هذه الهمزة هو الألف الساكنة أى المقطوعة عن الحركة ، لكنهم لما لم يمكنهم الابتداء بها وهى ساكنة ، بالإضافة إلى أنهم جاءوا بها لمعنى وهو التوصل إلى النطق بالساكن بعدها ـ اضطروا إلى تحريكها ، ولما قبلت الحركة صارت من الصوامت ، وعلى كل حال فالهمزات والحركات ـ ومنها الألف بالذات ـ بينها علاقة قوية ، ويتطور بعضها إلى بعض ، كما يرشد الواقع اللهجى للغتنا العربية[٢].

---

(١) انظر : دراسات فى علم اللغة من ص ١٣٧ إلى ص ١٦٠.

(٢) انظر سر صناعة الإعراب ١٠٢/١ - ١٢٧/١.

والخلاصة ـ كما قال الدكتور بشر نفسه ـ أن هذا الصوت ليس حركة أو ليس جزءًا من نظام الحركات فى اللغة العربية ، وأنه لا يقع فى أى حيز من أحياز الحركات الثلاث قصيرها وطويلها ، فهو يختلف عنها جميعًا فى الصفات[١].

* * *

حول مصطلحات الهمز والتسهيل :

عندما نقرأ فى أبواب الهمز ، سواء فى كتب اللغة والنحو أو فى كتب القراءات ، تصادفنا مصطلحات كثيرة تتعلق بظاهرة الهمز والتسهيل ، ومن تلك المصطلحات (التحقيق والتخفيف والتسهيل ، والتليين ، والإبدال والإسقاط والحذف وغيرها).

(١) التحقيق :

التحقيق مصدر من (حقق تحقيقًا) إذا أتى بالشىء على حقه ، وجانب الباطل فيه ، والعرب تقول : بلغت حقيقة هذا الأمر ، أى : بلغت يقين شأنه ، والاسم منه (الحق) ، ومعناه : أن يؤتى بالشىء على حقه من غير زيادة فيه ، ولا نقصان منه[٢]. وهو بهذا المعنى لا يختص بحرف دون آخر ، بل يكون فى جميع الحروف ، وحينئذ يمثل مرتبة من مراتب القراءة الثلاث التى هى التحقيق والتوسط والحدر ، فتحقيق القراءة ـ كما ذكر ابن الجزرى ـ عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ وتحقيق الهمز وإتمام الحركات[٣]، وقراءة التحقيق هذه تقابلها قراءة الحدر وهى عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمز ونحو ذلك مما صحت به الرواية ووردت به القراءة[٤].

وللتحقيق معنى أخص من السابق ، وهو عبارة عن ضد التسهيل ، وهو الإتيان بالهمز أو بالهمزتين خارجات من مخارجهن متدافعات منهن كاملات فى صفاتهن[٥]. أو هو ـ كما قال صاحب لسان العرب ـ أن تعطى الهمزة حقها من

---

(١) انظر : دراسات فى علم اللغة ص١٦٤.

(٢) التمهيد فى علم التجويد لابن الجزرى ص٦.

(٣) النشر فى القراءات العشر ج١ ص٢٠٥.

(٤) المرجع السابق ج١ ص٢٠٧.

(٥) التمهيد فى علم التجويد ص١١.

الإشباع ، فإذا أردت أن تعرف إشباع الهمزة فاجعل العين فى موضعها كقولك من الخبء : قد خبأت لك بوزن خبعت ، وقرأت بوزن قرعت[1] . . .

إذن فالتحقيق عند القراء مصطلح عام قد يستعمل فى تمييز مرتبة من مراتب القراءة ، وقد يستعمل فى بيان صفة من صفات الهمزة ، أما عند اللغويين ـ كابن منظور ـ ، وعند النحويين[2]، فلم يكن يستعمل إلا فى بيان الصفة الأصلية للهمزة .

(٢) التسهيل والتخفيف والبدل والحذف :

قال ابن الجزرى : « وأما التسهيل فهو عبارة عن تغيير يدخل الهمزة ، وهو أربعة أقسام : بين بين ، وبدل ، وحذف ، وتخفيف . فأما بين بين : فهو حرف بين همزة وبين حرف مد . وأما البدل : فهو إقامة الألف والياء والواو مقام الهمزة عوضًا عنها . وأما الحذف : فهو إعدامها (أى الهمزة) دون أن تبقى لها صورة . وأما التخفيف : فهو عبارة عن معنى التسهيل وعن حذف الصلات من الهاءات ، وعن فك الحرف المشدد القائم عن مثلين ، ليكون النطق بحرف واحد من المضعفين خفيف الوزن ، عاريًا من الضغط ، عاطلاً فى صناعة الخط من علامة الشد التى لها صورة فى النقط[3].

فالتخفيف ـ إذن ـ أعم من التسهيل ويحتاج إلى نوع من التخصيص حتى يرادفه ، وبالرغم من ذلك ، ومن أن التسهيل هو ضد التحقيق (الذى هو الصفة الأصلية للهمزة)، ومن أن التخفيف هو ضد (التثقيل)[4] أو التشديد[5]، فقد غلب على النحويين استعمال مصطلح (التخفيف) فى مقابلة (التحقيق) بدلاً من التسهيل ، بل إن سيبويه ، والمبرد ، والسيرافى ، وابن يعيش ، لم يستعملوا إلا التخفيف فى مقابلة

---

(١) لسان العرب ج١ ص١٢ - ونظير تلك الصفة فى المحسوسات : أنه يقال ثوب محقق إذا كان محكم النسج ، ويقال صبغت الثوب صبغًا تحقيقًا إذا كان مشبعًا (ح ق ق).

(٢) انظر : باب الهمزة فى كتاب سيبويه ، وفى المقتضب وفى شرح المفصل وفى شرح الشافية .

(٣) انظر : كتاب التمهيد فى علم التجويد ص١٠ ، ١١.

(٤) الإضاءة فى بيان أصول القراءة ص٣٢.

(٥) التمهيد فى علم التجويد ص١١.

التحقيق ، أما الرضى ـ فى شرحه على الشافية ـ فقد استعمل مصطلحى التسهيل والتخفيف معًا فى مقابلة التحقيق . وموقف النحويين هذا ، على العكس من موقف القراء الذين كانوا كثيرًا ما يستعملون التسهيل فى مقابلة التحقيق .

(٣) همزة بين بين :

ومن أقسام التسهيل : همزة بين بين ، والتسمية لسيبويه[١]، وقد تسمى عند القراء الهمزة الملينة ، أو الهمزة المطولة ، أو الهمزة الممدودة ، أو الهمزة المذابة ، إلى غير ذلك مما ورد على ألسنة علماء القراءات فى محاولتهم لضبط حالة بين بين[٢] .

وقد قسم النحويون همزة بين بين إلى قسمين :

أ - بين بين المشهور أو القريب : وهو جعل الهمزة بينها وبين حرف حركتها .

ب - وبين بين غير المشهور أو البعيد : وهو جعل الهمزة بينها وبين حرف حركة ما قبلها[٣] .

هذا وقد عرف بعض المحدثين القسم الأول بقوله : هو أن تحذف الهمزة وينطق بحركتها فقط ، وعرف الثانى بقوله : هو أن تحذف الهمزة وينطق مكانها بحركة من جنس حرف ما قبلها[٤] ، وسوف نناقش ذلك فى مكانه إن شاء الله تعالى .

(٤) الحذف :

أما الحذف فهو لغة الطرح والإزالة ، ويوجد منه قسمان :

الأول : حذف الهمزة مع حركتها ، وهذا القسم هو الذى يعبر عنه بالإسقاط غالبًا .

الثانى : حذفها بعد نقل حركتها وهو الذى يسمى بالنقل[٥] .

---

(١) المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها ج١ ص٤٢.

(٢) انظر : كتاب الإضاءة فى بيان أصول القراءة ص٢٩ ومقدمة فى أصول القراءات ٣٨ .

(٣) انظر هذين المصطلحين فى شرح الشافية ج٣ ص٤٦.

(٤) انظر : المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها ج١ ص٨٥ .

(٥) انظر : الإضاءة فى بيان أصول القراءة ص٣١.

وهذا التمييز بين المصطلحين (النقل والإسقاط) واضح عند القراء ، وهم غالبًا ما يفردون للنقل فصلاً خاصًا عند حديثهم عن الهمز ، أما النحويون فيسمون كلا منهما حذفًا .

(٥) التليين :

لا نكاد نعثر على أثر لهذا المصطلح عند المتقدمين من النحويين ، أمثال سيبويه فى الكتاب ، والسيرافى فى شرح الكتاب ، والمبرد فى المقتضب ، ولا عند ابن الحاجب والرضى فى الشافية وشرحها . أما ابن يعيش فقد ترددت مشتقات هذا المصطلح أربع مرات فقط فى شرحه على المفصل عند حديثه عن تخفيف الهمزة ، وقد استعمله مرة واحدة فى حديثه عن الهمزة المبدلة[١]، وفى الثلاث الأخرى استعمله فى الحديث عن همزة بين بين[٢].

هذا موقف النحويين من هذا المصطلح ، أما القراء فقد استعملوا التليين فى معنى التسهيل منذ وقت مبكر ، فقد استعمله ابن خالويه فى كتابه (الحجة فى القراءات السبع) فى مواضع كثيرة ، لكن يبدو ـ لمن يتتبع كتاب الحجة ـ أنه كان يستعمله فى معنى البدل غالبًا[٣] . فيقول مثلاً فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ (البقرة:١٣) يقول فى ﴿ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ ﴾ تقرأ بتحقيق الهمزتين وتحقيق الأولى وتخفيف الثانية تليينًا[٤]، وهو يشير بقراءة التخفيف أو التليين إلى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو بن العلاء حيث كانوا يبدلون الثانية واوًا خالصة ويحققون الأولى[٥].

وكذلك استعمل هذا المصطلح ومشتقاته أبو عمرو الدانى فى كتبه: جامع البيان، والمحكم فى نقط المصاحف ، وكتاب النقط والشكل ، ولكنه كان يستعمله فى

---

(١) انظر: ابن يعيش ج٩ ص١٠٧ سطر ٢٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ج٩ ص١٠٩ سطر ٥ ، ص١١٩ سطر ١ ، ص١١٢ سطر ٢.

(٣) انظر كتاب الحجة مثلاً ص٦٩ ، ٨١ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٧٦.

(٤) المرجع السابق ص٦٩.

(٥) انظر: كتاب غيث النفع فى القراءات السبع ص ٨٣ ، ٨٤ على هامش سراج القارئ المبتدى .

تسهيل بين بين،وتسهيل البدل على السواء،فيقول مثلاً فى جامع البيان (ورقة٨٩)[1] عن همزة الوصل : إذا دخلت عليها همزة الاستفهام فى نحو : ﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ (الأنعام:١٤٣)، ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ (يونس:٥٩) يقول فيها : إنها تثبت للدلالة على الفرق بين الاستفهام والخبر ، إلا أنها تلين بإجماع ، واختلف علماؤنا فى كيفية تليينها ، فقال بعضهم : تبدل ألفا خالصة . . وقال آخرون : تجعل بين الهمزة والألف لثبوتها فى حالة الوصل ، وتعذر حذفها فيه ، فهى كالهمزة اللازمة . أما فى كتاب المحكم فى نقط المصاحف ، فيكفى أن نذكر أنه عقد فى (ص٩٠) بابا بعنوان : (باب ذكر أحكام نقط الهمزة المفردة الملينة) ، والأمثلة التى أوردها فى هذا الباب بعضها للهمزة المسهلة بين بين ، وبعضها الآخر للهمزات المبدلة . وفعل مثل ذلك فى كتاب النقط والشكل (ص١٣٤) حيث قال (باب ذكر أحكام تليين الهمزات) والحال أن بعضها يسهل بين بين ، وبعضها الآخر يبدل .

وتردد مصطلح (التليين) ومشتقاته فى كتاب أبى البقاء العكبرى ، (إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات) ، ويبدو أنه كان يطلق الهمزة الملينة ، أو التليين على الهمزة المسهلة بين بين غالبًا ، فهو ـ مثلاً ـ يقول فى قوله تعالى ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ (البقرة:٦) : ومنهم من يحقق الأولى ويجعل الثانية بين بين ، أى بين الهمزة والألف ، وهذه فى الحقيقة همزة ملينة وليست ألفًا[2].

ومن هذا كله يمكن أن نخرج بنتيجة هامة ، وهى أن القراء كانوا أكثر ميلاً إلى الدقة فى استعمال المصطلحات العلمية ، ذلك لأن مصطلح **التسهيل** ومشتقاته ، ومصطلح **التليين** ومشتقاته اللذين ترددا كثيرًا فى كتب القراءات أليق بحال عدم الهمز من مصطلح **التخفيف** ، لما فيهما من التخصيص وما فيه من التعميم من ناحية ، ولما فيهما من دلالة صريحة على حياة المسهلين وبيئاتهم ، فمنهما يستشف أن المتخلصين من الهمز مالوا إلى الرقة والليونة والسهولة فى مختلف مظاهر حياتهم ، وأن الهمزة كانت تنحدر على ألسنتهم وتسيل كما لو كانوا

---

(١) وانظر المطبوع من جامع البيان جـ١ صـ٣٢٧ .

(٢) انظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ص٨.

يسيرون فى أرض سهلة ، لا وعورة فيها ولا صلابة ، فهما ناطقان بمظهر الحضريين المسهلين وبمظهر بيئتهم . وهذا الأمر هو الذى دعا ـ من أول الأمر ـ إلى أن يكون عنوان البحث : (الهمز والتسهيل) بدلاً من (تحقيق الهمز وتخفيفه) لما فى الأول من الاختصار وصدق الدلالة .

* * *

أحوال الهمزة فى اللغة العربية ولهجاتها :

يبدو أن الهمزة العربية اتخذت أشكالاً متعددة فى أفواه الناطقين بها من العرب ، تشير إلى ذلك تلك المصطلحات التى ظهرت فى كتب القدماء والمحدثين من اللغويين والنحويين والقراء ، كالتى ذكرناها آنفًا . وإذا ما راعينا أحوال الناطقين بهذه الأشكال وبيئاتهم ، أمكننا أن نقسم هذه الأشكال الكثيرة إلى شكلين : الهمزة المحققة ، والهمزة المسهلة أو المخففة .

أما تحقيق الهمزة : فهو أن تخرج الهمزة نبرة (قوية) لا ينحى بها نحو حرف من حروف اللين[1].

وأما تسهيل الهمزة : فهو أن تزال تلك النبرة بحذفها أو إبدالها حرف لين أو بالميل بها نحوه[2].

والهمزة المحققة تقع فى ابتداء الكلام وفى وسطه وفى طرفه ، أما المسهلة فلا تقع ابتداء ، لأن ذلك الموقع خاص بالمحققة . وقد صرح ابن جنى بتحديد هذا الموقع لها فى قوله : « إذا أوقعتها موقعًا لا يمكن فيه تخفيفها ولا تكون فيه إلا محققة ، لم يجز أن تكتب إلا ألفًا ، وذلك إذا وقعت أولاً »[3]. وقد علّل الرضى لعدم إمكان التخفيف فى الهمزة الواقعة أولاً بقوله : « وإنما لم تخفف إذن لأن إبدالها بتدبير حركة ما قبلها كما يجىء، وكذا حذفها بعد نقل حركتها إلى ما قبلها ، وكذلك المجعولة بين بين البعيد تدبر بحركة ما قبلها ، وإذا كانت فى ابتداء الكلام

---

(١) من مباحث الهمزة العربية ص٩.

(٢) المرجع السابق .

(٣) سر صناعة الإعراب ج١ ص٤٦ .

لم يكن قبلها شيء ، وأما بين بين المشهور فيقربها من الساكن كما يجيء ، والمبتدأ به لا يكون ساكنًا ، ولا قريبًا منه ، ولم تخفف فى الابتداء نوعًا آخر من التخفيف ، غير الثلاثة المذكورة ، لأن المبتدأ به خفيف ، إذ الثقل يكون فى الأواخر ، على أنه قد قلبت الهمزة فى بعض المواقع فى الابتداء هاء كهرحت وهرقت وهيّاك ، ولكن ذلك قلب شاذ[1].

أما حكم التخفيف أو التسهيل ، فهو لمن يتكلم به من العرب من قبيل الاستحسان لا الوجوب ، فليس ممنوعًا أن يترك التخفيف ويعدل عنه إلى التحقيق الذى هو الأصل ، غير أن الظاهر أن أهل التخفيف من العرب كانوا يلتزمونه ، ولا سيما إذا صح ما روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ من قوله : «نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر (أى همز) ولولا أن جبرائيل ـ عليه السلام ـ نزل بالهمزة على النبى ﷺ ما همزنا»[2].

ويبدو أن السبب فى عدول أهل التسهيل عن النطق بالهمزة محققة هو ما يكتنف نطقها من صعوبة كبيرة ، نستبين ذلك من كلام سيبويه حين يقول : «واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يحققها لأنه بَعُدَ مخرجها ، ولأنها نبرة فى الصدر تخرج باجتهاد ، وهى أبعد الحروف مخرجًا ، فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع»[3] . ومن كلام الرضى فى ذلك قوله : «ثم اعلم أن الهمزة لما كانت أدخل الحروف فى الحلق ، ولها نبرة كريهة تجرى مجرى التهوع ، ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها ، فخففها قوم ، وهم أكثر أهل الحجاز ولا سيما قريش»[4]. ونستبينه ـ أيضًا ـ من تعبير المُحْدَثِين عنها بأنها (وقفة حنْجرية) أو (احتباس حنجرى).

ومن هذا وذاك يفهم أن الهمزة صوت عسير على اللسان ، ويحتاج إلى مجهود عضلى كبير فى إخراجه ، ولذا وصفه ابن سينا بقوله : «أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ، ومن مقاومة الطرجهالى

---

(١) شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٣١.

(٢) من مباحث الهمزة فى العربية ص١٤ ، وانظر شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٣٢.

(٣) كتاب سيبويه ج٣ ص٥٤٨ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

(٤) شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٣١.

الحاصر زمانًا قليلاً ، لحصر الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معًا »[1]، وهذا العمل المضنى من الحجاب وعضل الصدر ، والعضل الفاتحة... جعل الباحثين يقولون عنها : إنها « أشق الأصوات »[2]، وإن « عملية النطق بها ـ وهى محققة ـ من أشق العمليات الصوتية[3].

ولا شك فى أن طبيعة الهمزة المحققة ، وما فى تكوينها من صعوبة كبيرة ، تدل على طبائع الناطقين بها ، وأنهم كانوا أقوامًا فصحاء ، يميلون إلى نبر الأصوات وعلوّها ، وأن البيئة التى كانت تنتشر فيها ظاهرة الهمز كانت بيئة شاسعة واسعة ، لا تكاد تتجاوب فيها الأصوات ، ومن هنا لم تخطئ الروايات حين تكاد تجمع على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص القبائل البدوية التى عرفت بالفصاحة ، والتى كانت تسكن الصحراء ، « ولا شك فى أن البيئة الصحراوية التى تنتشر فيها الأصوات فى مسافة شاسعة لا يعوقها عائق ، ولا يحول دونها حائل ، تتطلب الميل إلى توضيح الأصوات »[4] وإظهارها للسامعين ، وإخراجها بكل صفاتها ، بل ربما رام البدوى توضيح صوت الهمزة أكثر مما هو شائع فى نطقها محققة ، فأخرجها عينا ، ونطق الهمزة عينا هو ما يسمى بـ(العنعنة) وسنتحدث عنها بعد قليل ، مفسرين إياها ، تاركين الحديث عن القبائل التى تتكلم بها ، إلى فصل مقبل إن شاء الله تعالى .

أما الهمزة المخففة أو المسهلة أو الملينة ، فتحتاج فى نطقها إلى مجهود أقل مما تحتاج إليه الهمزة المحققة ، وهذه الطبيعة فى الهمزة المسهلة تناسب طبيعة أهل الحضر الذين عرفوا بدماثة الخلق ، ورقة الطباع ، فكانوا يميلون إلى خفض الأصوات ، وتقليل نبرها ، وهذا السلوك منهم أملته عليهم بيئتهم التى تقاربت فيها

---

(١) أسباب حدوث الحروف لابن سينا ص٩.

(٢) الأصوات اللغوية ص٩٧.

(٣) فى اللهجات العربية ص٧٧.

(٤) فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ص١٠٧ الطبعة الرابعة.

المسافات ، وكثرت الحواجز ، فلم يكن هناك شيء يدعو إلى نبر الهمزة ورفع الصوت بها ، وإخراجها محققة مظهرة بكل ما لها من صفات ، بل ربما بالغ الحضرى فى إخفاء صوت الهمزة فلم يقتصر على جعلها صوتًا قريبًا من حروف المد واللين (همزة بين بين) ، وإنما يحولها إلى الألف أو الواو أو الياء ، وربما يبالغ فى التسهيل فيحذفها من كلامه بالمرة . « والأصل فى الأنواع الثلاثة (أى أنواع التسهيل): بين بين ؛ لأنه تخفيف مع بقاء الهمزة بوجه ، ثم الإبدال ؛ لأنه إذهاب الهمزة بعوض ، ثم الحذف ؛ لأنه إذهابها بلا عوض»[1]. ولذا قيل عن الحذف : إنه (أبلغ فى التخفيف) [2].

إذن « فلتسهيل الهمزة مراحل تنازلية : سقوطها من الكلام ، ثم قلبها إلى حرف مد ، ثم تسهيلها بما يسمى بين بين . ولتحقيق الهمزة مراحل تصاعدية ، أن ينطق بها النطق المألوف لنا ، ثم أن ينطق بها شبيهة بالعين[3] وسوف نفسر مراحل التسهيل هذه ـ بعد قليل ـ ، تاركين الحديث عن القبائل التى تتكلم بالتسهيل أو بالتحقيق إلى فصل مقبل إن شاء الله تعالى .

* * *

العنعنة :

العنعنة هى إحدى الظواهر اللهجية التى شاعت بين القبائل البدوية ويمكن تعريفها بأنها : إبدال الهمزة عينًا قصدًا للمبالغة فى تحقيق الهمزة وإظهارها للسامعين .

وقد كانت هذه الظاهرة مثار خلاف بين العلماء والباحثين ، فاللغويون العرب تعرضوا لتفسير هذه الظاهرة فى كتبهم ومؤلفاتهم ، لكنهم اختلفوا فى تحديد موضعها ، وفى مدى شيوعها بين القبائل العربية ، فبعضهم يحصر العنعنة فى جعل

---

(١) المناهج الكافية فى شرح الشافية لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ج٢ ص١٧٣.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج٩ ص١٠٩.

(٣) فى اللهجات العربية ص١١١ ، ص١١٢.

همزة (أنْ ، أنّ) المفتوحة عينا . يقول ابن جنى : «فأما عنعنة تميم ، فإن تميمًا تقول فى موضع أَنَّ ، عَنَّ تقول : عَنَّ عبدالله قائم» وأنشد ذو الرمة عبد الملك:

أعن ترسمت مـــن خرقـــاء منزلـــة ماء الصبابة من عينيك مسجوم[1]

قال الأصمعى : سمعت ابن هرمة ينشد هارون الرشيد :

أعن تغنت علـــى ســـاق مطوقـــة ورقاء تدعو هديلا فوق أعـــواد[2]

وحَصْرُ ابن جنى للعنعنة فى همزة هاتين الأداتين (أن ، أنّ) أخذناه من اقتصاره على التمثيل بهما ، كما هو واضح من نصه السابق[3].

وتتوالى الروايات فى تفسير العنعنة ، وحصرها فى (أنْ ، أنّ) مفتوحى الهمزة ، حتى إن ابن يعيش ينكر - صراحة - أن تقع العنعنة فى إن المكسورة الهمزة ، فيقول : «هذه لغة تميم وأسد يبدلون من الهمزة المفتوحة عينا ، وذلك فى أنْ وأنّ خاصة ؛ إيثارًا للتخفيف لكثرة استعمالهما ، وطولهما بالصلة ، قالوا : أشهد عنّ محمدًا رسول الله ، ولا يجوز مثل ذلك فى المكسورة[4].

ولكن الروايات الأخرى تأبى حصر العنعنة فى (أنْ وأنّ) المفتوحى الهمزة فالسيوطى يقول : (ومن ذلك العنعنة ، وهى فى كثير من العرب ، فى لغة قيس وتميم ، تجعل الهمزة المبدوء بها عينا ، فيقولون فى (أنك : عنك) وفى (أسلم :

---

(١) البيت من بحر البسيط ، قائله ذو الرّمة ، وهو مطلع القصيدة الخامسة من ديوانه المطبوع فى كيمبردج ١٩١٩م ص٥٧٦ ، وسر الصناعة ٢٣٤/١ ، والخصائص ١١/٢ ، وخزانة الأدب ٤٩٥/٤ وترسمت : نظرت رسومها - خرقاء : اسم امرأة كان يشبب بها . منزلة : موضع النزول . الصبابة: رقة الشوق . مسجوم : مصبوب . الشاهد : قوله (أعن) أصله (أأن) قلبت الهمزة عينًا على لهجة تميم .

(٢) البيت من البسيط ، وهو فى مجالس ثعلب ٨١ وفيه «وكان ابن هَرْمة ربى فى ديار تميم» ، والخصائص ١١/٢ وسر الصناعة ٢٣٥/١ ، والمطوقة: حمامة ذات طوق وهو صنف خاص من الحمام. والورقاء: ما كان لونها لون الرماد. والهديل: ذكر الحمام مطلقًا ، وقيل فرخها. والشاهد فيه كما فى البيت السابق.

(٣) الخصائص لابن جنى ج٢ ص١١ وسر الصناعة ٢٣٤/١، ٢٣٥ وأصله فى مجالس ثعلب ٨١/١.

(٤) شرح ابن يعيش ج٨ ص١٤٩ .

عسلم) وفى (أُذُن : عُذن) [1] وواضح من هذا النص أن العنعنة تقع فى (أن) وفى غيرها ، وفى الهمزة المفتوحة وغير المفتوحة .

بل ربما وجدنا من يوسع دائرة العنعنة أكثر ، فيرى أنها تقع فى أواسط الكلمات وأواخرها ، كما وقعت فى أوائلها ، فأبو على القالى ذكر فى أماليه كثيرًا من الأمثلة التى تعاقبت فيها الهمزة والعين فى غير الأول ، ومنها : كَثَأَ اللَّبَنُ وكثع ، وهى : الكَثْأَةُ والكَثْعَةُ ، إذا علا دسمه وخثورته رأسه ، . . ويقال : موت زؤاف ، وزعاف ، وذؤاف ، وذعاف ، إذا كان يعجل القتل ، وقال الأصمعى : يقال التُمِىءَ لونُه ، والتمع ، وهو السَّأَفُ ، والسَّعَفُ ، وقال يعقوب : سمعت أبا عمرو يقول : الأُسْنُ : قديم الشَّحْم ، وبعضهم يقول : العُسْن [2].

كذلك ذكر الخليل بن أحمد ما يفيد إبدال العين من الهمزة فى أواخر الكلمات فقال : (الخبع : الخبأ فى لغة تميم) [3].

ويؤكد ابن دريد كلام الخليل فيقول : « خَبَع الرجل فى المكان إذا دخل فيه ، وأحسب أن هذه العين همزة ، لأن بنى تميم يحققون الهمزة فيجعلونها عينًا ، فيقولون : هذه خِبَاعُنَا ، يريدون : خِبَاؤُنا [4] ». والمراد بالتحقيق ـ هنا ـ المبالغة فيه ، وابن دريد كان على يقين من أن هذه المبالغة ظاهرة لهجية شاعت على ألسنة البدو ، ولم (يتشكك ابن دريد فى نسبة ما كان من هذا الضرب إلى تميم) [5] كما قال الدكتور أحمد علم الدين الجندى ، لأن (أحسب) تفيد الرجحان إن لم تفد اليقين .

وأمام هذه الروايات الصحيحة ، يحق لنا أن نقرر فى اطمئنان : -

أ - أن العنعنة لا تقتصر على همزة (أنْ أو أنّ) المفتوحة الهمزة كما قال بعض اللغويين ، بل تقع فى مطلق الهمزة ، مفتوحة أو غير مفتوحة ، وفى أَنْ وأنّ ،

---

(١) المزهر للسيوطى ج١ ص١٣٣ طبع سنة ١٣٣٥هـ بمطبعة السعادة .

(٢) الأمالى لأبى على القالى ج٢ ص٧٩ وأصله فى كتاب الإبدال لابن السكيت ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) العين للخليل ج١ ص٥١ تحقيق الدكتور عبد الله درويش . ١٢٣/١ من العين / طبعة بيروت .

(٤) جمهرة كلام العرب لابن دريد ج١ ص٣٣٧ .

(٥) اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة ص٢٨٦ [صـ٣٦٩ اللهجات العربية في التراث] دكتور أحمد علم الدين الجندى .

وفى غيرهما ، وفى أوائل الكلمات وأواسطها وأواخرها ، من غير تفريق بين كل هذه الحالات . (فاشتراط البدء بالهمزة ، أو أن تكون مفتوحة ، ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية ، وإنما الذى يبدو أن يكون أقرب إلى الاحتمال ، هو أن هذه القبائل - وكلها من البدو - كانت تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة فى السمع ، أيا كان موضعها من الكلمة وبأية حركة تحركت)[1].

ب - يؤكد ما سبق أن العنعنة «لا تزال شائعة فى بعض اللهجات الحديثة التى تتاخم الصحراء ، وقلب الهمزة عينًا فى هذه اللهجات غير مقيد بالبدء بها ، أو كونها محركة بحركة خاصة[2] .

ففى صعيد مصر نسمعهم ينطقون (أسعل سعال) فى : أسأل سؤال ، ويقولون : (لع) فى لأ .

وفى لهجة صنعاء يقولون : (بَدَعَ) أى بدأ ، ويقولون : (البادع أظلم) أى : البادئ أظلم ، ويقولون : (ابدع بها) أى : ابدأ بها[3].

ويروى الدكتور خليل نامى أنه سمع (فى بيت الفقيه) من يقلب الهمزة عينا ، وأنه قد علم من الثقات اليمنيين أن ذلك يحدث فى كل مدن تهامة ، فهم يقولون : عالة للآلة ، والعِمام للإمام ، والعمير للأمير .

كذلك يوجد أثر قلب الهمزة عينًا فى لهجات الجزيرة بالسودان حيث يقولون : (أسعلكم سعال) فى : أسألكم سؤال[4] . وتوجد فى لهجة شمال المغرب أيضًا فهم يقولون : (تخبع) ، (نشاع الله) فى : تخبأ ، وإن شاء الله[5] .

جـ- يضاف إلى ما سبق ذكره ، أن إبدال الهمزة عينًا ، على الصورة السابقة موجود فى بعض اللهجات السامية .

---

(١) فى اللهجات العربية ص١١٠ الطبعة الرابعة.

(٢) فى اللهجات العربية ص١١١ الطبعة الرابعة.

(٣) لهجات اليمن قديمًا وحديثًا ص٤٤.

(٤)اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة ص٢٨٧[٣٦٩،٣٧٠اللهجات العربية في التراث]

(٥) لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها) ص٧٢ د. عبد المنعم سيد عبدالعال.

يقول الدكتور (أنوليتمان) : «وسمعت أهل الحبشة الشمالية يقولون : حبع عوضا عن : حبأ ، أى : خبأ ، ويظهر من ذلك أن العنعنة توجد فى أول الكلمة وتوجد فى آخرها[1].

إذن فإبدال الهمزة عينًا ، ظاهرة لغوية يغلب أنها كانت قديمة فى الأصل السامى ، كما أنها موجودة فى اللغة الحبشية .[2]

وعكس[3] هذه الظاهرة ـ أى إبدال العين همزة ـ كان موجودًا فى لسان العرب أيضًا ، فقد روى أن أهل الحجاز كانوا يلفظون استأدى بمعنى : استعدى أى (استعان) وآدى بمعنى : أعدى ، أى : أعان . وقال الطرماح ـ وهو شاعر طائى :-

فيؤديهم على فتاء سنى حنانك ربنا يا ذا الحنان[4].

وروى الفراء أن بعض بنى نبهان ، وهم من بنى طيئ ، كانوا يقولون : دَأْنى عوضًا عن : دَعْنى . ورويت صيغة : أُبَاب بمعنى : عُباب (أى : أمواج) فى بيت الشاعر :

وماج ساعات من الوديق أباب بحر ضاحك هزوق[5].

---

(١) مقال بعنوان:(بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى) مجلة كلية الآداب عدد مايو سنة١٩٤٨

(٢) فى اللهجات العربية وأصول اختلافها د. عبدالحليم النجار ص٤١ مطبعة جامعة فؤاد الأول.

(٣) وصف ابن جنى هذا الوجه بأنه غامض ، وفيه بعض الضعف وإن كان أبو على الفارسى قد أجازه: وقال إنه ينبغى أن يوقف فيه عندما سمع . انظر سر الصناعة ٢٤١/١ - ٢٤٦.

(٤) البيت من الوافر .

(٥) البيت من الرجز ، ولم يعرف قائله ، ذكر ابن جنى عجزه فى سر الصناعة ١٢١/١ وقال فى التعقيب عليه: فليست الهمزة فيه بدلاً من عين عباب ، وإن كان بمعناه ، وإنما هو فعال من أبَّ: إذا تهيأ ، .. لهذا كانت الهمزة أصلاً غير بدل من العين ، وإن قلت إنها بدل منها فهو وجه ، وليس بالقوى اهـ

ووصف البحر بالضحك كناية عن امتلائه بالماء ، وهزوق أو زهوق فى الرواية الأخرى بمعنى مرتفع ، والعباب: الموج.

قال البغدادى فى شرح الشواهد على شافية ابن الحاجب: ومفهوم كلام ابن جنى أن إبدال العين همزة ضعيف لقلته ، وإليه ذهب ابن مالك فى التسهيل ، ولم يقيده الزمخشرى فى المفصل ولا ابن يعيش فى شرحه بقلة ، وإنما قال: «أبدل الهمزة من العين لقرب مخرجيهما كما أبدلت العين من الهمزة... وليس فى هذا شذوذ ، وما قاله الشارح (الرضى) تبعًا للمصنف ممنوع ، --

ثم روى ثُؤاله بمعنى : ثُعالة ، ولألّ بمعنى : لعلّ عند بعض العرب[1] .

ومن ذلك يبدو أن بعض الألسنة استثقلت نطق العين فاطرحتها من كلامها ، كما حصل ذلك فى كثير من اللغات السامية ، وعلى الأخص الأكادية ، ومن هنا لجأت إلى إبدال العين همزة ، كما هو مشاهد فى الأجنبى الذى يتعلم العربية فى العصر الحديث ، إذ يبدل العين همزة لصعوبة العين على لسانه[2] . فالإنجليزى ـ مثلاً ـ ينطق كلمة (عمر) : Omer بالهمزة فى أولها لا بالعين كما نفعل نحن العرب ، وينطق كلمة (عرب) : Arab بالهمزة مكان العين . ومن المُحْدَثِين من يرى أن يطلق لقب (الأنأنة) على قلب العين همزة ، نقيض (العنعنة) [3] .

* * *

-- فإنه جاءت كلمات كثيرة بالهمزة وبالعين ، وقد ذكر له ابن السكيت فى كتاب القلب والإبدال بابًا عنوانه «باب العين والهمزة» نقل البغدادى منه نحو عشرين كلمة ، ثم قال معقبًا: «ولا شك أن هذه الكلمات المشهور فيها العين والهمزة بدل منها ، وقد أسقطنا من كلامه ـ ابن السكيت ـ ما المشهور فيه الهمزة والعين بدل منها ..

وأما ما أورده الزجاجى من هذا النوع فى الفصل الذى عقده فى أماليه الكبرى فقد نقل البغدادى منه فى شرح الشواهد نحو ست كلمات تقال بالعين وبالهمزة ، ثم قال : «وهذا ما أورده الزجاجى ، وقد أسقطنا منه أيضًا ما توافق فيه مع ابن السكيت ، وما المشهور فيه الهمزة وأبدلت عينًا ، وقلب العين همزة أقيس من العكس؛ لأن الهمزة أخف من العين .

ثم قال البغدادى فى نهاية تعليقه على المسألة «ولو استحضر ابن جنى عدة الكلمات لم يقل ما قال ، ولا ذهب ابن الحاجب إلى ما ذهب ، ولله درّ الزمخشرى فى صنعه ، والله الموفق تبارك وتعالى اهـ».

يراجع فى ذلك : سر صناعة الإعراب ١٢١/١. كتاب الإبدال لابن السكيت ٨٤ ، ٨٥. شرح المفصل لابن يعيش ١٦/١٠. شرح شافية ابن الحاجب ٢٠٣/٣ ، ٢٠٧. شرح الشواهد للبغدادى ٤٣٢/٤ - ٤٣٥.

(١) بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص٢٥ مجلة كلية الآداب مايو ١٩٤٨م.

(٢) فى اللهجات العربية وأصول اختلافها ص٤٢.

(٣) فى التطور اللغوى دكتور عبد الصبور شاهين ص٦٠.

العنعنة فى نظر علم الأصوات الحديث :

العنعنة ـ كما سبق تعريفها ـ هى إبدال الهمزة عينًا ، قصدًا للمبالغة فى إظهارها للسامعين ، والإبدال الواقع بين الحروف ، قد وضعت له شروط لابد أن يستوفيها ، ليكون قائمًا على أساس صوتى ، وهذه الشروط هى[1] : -

(١) أن توجد بين الصوتين (المبدل والمبدل منه) علاقة مخرجية أو وصفية .

(٢) ضرورة اتحاد المعنى بين اللفظين المبدل والمبدل منه .

(٣) أن يتمشى الإبدال مع قوانين التطور الصوتى ، بأن يكون التطور من الصوت الأصعب إلى الأسهل .

وإذا طبقنا هذه الشروط الثلاثة على إبدال الهمزة عينًا ، كما هو الحال فى العنعنة ، وجدناه إبدالاً موافقًا لقوانين التطور الصوتى فى نظر المحدثين . فالهمزة تخرج من الحنجرة وهو مخرج قريب ، بلا ملاصق لمخرج العين الذى هو أقصى الحلق ، فهما على علاقة مخرجية . والشرط الثانى ينطبق على جميع الألفاظ التى ذكرت سابقًا فى معرض الحديث عن العنعنة ، فهى مع الهمزة ومع العين بمعنى واحد ، والشرط الثالث ـ أيضًا ـ متحقق فى العنعنة ، فالانتقال من الهمزة التى هى حبسة حنجرية ، شديدة بالغة الشدة ، وليست مجهورة ولا مهموسة إلى العين الحلقية المجهورة المائلة إلى الرخاوة ـ انتقال من الأصعب إلى الأسهل ، « فليس بغريب أن يحدث هذا القلب للهمزة عينًا ، نزوعًا إلى إظهار صوت حنجرى مهموس ، فى صورة صوت حلقى قريب منه ، ولكنه مجهور قوى الاحتكاك ناصع الرنين »[2].

---

(١) انظر : الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ص٣٠٠، ٣٠٧، [صـ٢٦٩ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى] ، وانظر ابن جنى اللغوى ص٤٨٩، ٤٩٠ ، [صـ ٧٠٨ عبقرىّ اللغويين] وانظر مقدمة الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص٩ وما بعدها ، وانظر مقاييس الأصالة والفرعية فى الإبدال لابن السكيت دكتور أحمد سلطان ص١٦ — ٢٧ حيث استوفيت الشروط .

(٢) فى التطور اللغوى ص٦٦ د. عبد الصبور شاهين.

وهذا الأمر ـ أى العلاقة القائمة بين الهمزة والعين ـ أدركه من سبق المُحْدَثِين ، فابن الجوزى فى رءوس القوارير «ص٣٠» يقول : ومن العرب من يبدل الهمزة عينا لتقاربهما فى المسلك ، وإن العين عندهم أخف من الهمزة[١].

وبالرغم من وجود العلاقة الصوتية بين جميع ألفاظ العنعنة من غير تفريق بينها ، تجد بعض المُحْدَثِين يقصرون العنعنة على (أنْ ، أنّ) قائلين : بأن «تسمية العنعنة توحى بأن الأقدمين يقصرونها على ما كانت تتعرض له الأداتان (أَنْ ، أَنّ)[٢]» وحجتهم فى ذلك أن مصطلح (العنعنة) المقصود به قلب الهمزة عينًا ، مبنى على أساس تكرار الأداة التى تحدث فيها الظاهرة وهى (أن) التى تنطق لدى تميم وغيرها (عن) فهذا القلب الذى تصدق عليه التسمية ، مقتصر ـ فى رأيهم ـ على هذه الأداة ، بحيث لا يقصد به ما كان من باب الإبدال اللغوى كأباب وعباب[٣].

ونحن لا نرى فى هذا المصطلح (العنعنة) دلالة توجب قصره على (أَنْ ، أَنّ) دون غيرهما ، فالعلماء العرب حين وضعوا هذا اللقب للدلالة على العنعنة ، لم يقصدوا بذلك أنه يقع فى هاتين الأداتين فقط ، لأنهم وضعوا ألقابًا للهجات أخرى ، وكانت على وزن (الفَعْلَلة) مثل (الكشكشة) و(الكسكسة) و(العجعجة) و(التلتلة) و(الشنشنة) و(الفحفحة)؛ ولم تدل على أنها تقع فى أداة اسمها (كش أو كس أو عج أو شن أو فح)؛ وإنما كل ما فيها ، وما فى الألقاب الأخرى كالوكم ، والوهم ، والاستنطاء ، والوتم . . . أنهم كانوا يعمدون إلى ذكر الحرف المبدل منه أو المبدل فى المصطلح أو الحرف الواقع فيه التغيير بالكسر أو بالإسكان مثلاً . فمصطلح العنعنة يدل على أن الحرف المبدل فيها هو العين ، ومصطلح الكسكسة يدل على أن الحرف المبدل هو السين ، وهكذا . . نجد الحرف المبدل هو الشين

---

(١) لهجات العرب للعلامة أحمد تيمور باشا ص١٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٧٣ - وما قاله ابن الجوزى من كون العين أخف من الهمزة هو المشهور وقد خالف ذلك عبد القادر البغدادى فى شرح شواهد الرضى على شافية ابن الحاجب ٤/٤٣٥.

(٢) فى التطور اللغوى د. عبد الصبور شاهين ص٦٦.

(٣) المرجع السابق ص٥٩.

فى الكشكشة ، والجيم فى العجعجة ، والتاء فى الوتم ، والشين فى الشنشنة ، والنون فى الاستنطاء ، وقد يكون المذكور فى المصطلح هو الحرف المبدل منه مثل الحاء فى الفحفحة . أما التلتلة فتشير إلى كسر أول المضارع ويظهر أن الكسر كان يقع كثيراً فى المبدوء بالتاء . ومصطلح الوكم يشير إلى الكسر الذى يلحق الكاف بعد الياء أو الكسرة ، والوهم يشير إلى كسر الهاء فى الكلمة ، وهكذا ، فربما كان تكرار العين والنون فى مصطلح العنعنة من قبيل المصادفة .

إذن فالأجدر بنا ألا نفرق بين أجزاء الظاهرة الواحدة التى تنطبق عليها شروط موحدة ، وتتكلم بها قبائل ذات طبائع جغرافية واجتماعية متشابهة ، فكل الألفاظ التى أبدلت فيها العين من الهمزة ، داخلة فى ظاهرة العنعنة فى نظرنا؛ «لأن هذا الإبدال عام فى كل همزة عند تميم ومن جاورهم»[1] وحتى على فرض صحة وجهة النظر القائلة بأن مصطلح العنعنة مبنى على أساس تكرار الأداة (أَنْ) التى صارت (عَنْ) فإن هذه التسمية (العنعنة) تدل على قصور ونقص فى الاستقراء لدى واضعى التسمية ، فليس هناك ما يمنع ـ بعد أن تم الاستقراء ـ من إطلاقها على كل همزة أبدلت عينا فى كلمتين متحدتين فى المعنى .

* * *

مراحل التسهيل :

أولاً : التسهيل بين بين :

التسهيل بين بين هو أن تجعل الهمزة المسهلة «بين الهمزة وبين الحرف الذى منه حركتها ، إن كانت مفتوحة فهى بين الهمزة والألف ، وإن كانت مكسورة فهى

---

(١) فصول فى فقه العربية د. رمضان عبد التواب ص١٧٧ - ويقول الدكتور خليل نامى فى ص ٣٦ ، ٣٨ من كتابه دراسات فى اللغة العربية: العنعنة كانت فى قضاعة ، وفى بنى قيس بن مضر ، وفى تميم بن مضر ، وفى أسد بن مضر ، وفيمن جاورهم من الأعراب ـ بين القبائل الشمالية واليمنية.

بين الهمزة والياء ، وإن كانت مضمومة فهى بين الهمزة والواو[1] ، والمقصود بالواو وبالياء التى تنطق الهمزة بينها وبينهما ـ الواو الساكنة والياء الساكنة ، أما الألف فمعلوم أنها لا تكون إلا ساكنة . وتسمى الهمزة فى حالة التسهيل هذه (همزة بين بين).

ومذهب سيبويه أنها حرف واحد نظرًا إلى مطلق التسهيل ، وذهب غيره إلى أنها ثلاثة أحرف ، نظرًا إلى التفسير بالألف والواو والياء[2] ، وممن قرأت له من السابقين أنها ثلاثة أحرف أبو يحيى زكريا الأنصارى فى كتابه (مناهج الكافية فى شروح الشافية) [3] ، وقد سار على ذلك من المُحْدَثِين الأستاذ حفنى ناصف[4].

والتفسير السابق لهمزة (بين بين) هو ما قال به كل علماء اللغة والنحو من المتقدمين والمتأخرين ، وهو رأى أغلب القراء أيضًا ، قال الإمام الشاطبى :

والإبدال محض والمُسَهَّلُ بين ما هو الهمز والحرف الذى منه أشكلا

وقد روى عن بعض علماء القراءات « أن تخفيف الهمزة ـ فى هذه الحالة ـ (أى فى حالة بين بين) يكون بجعلها بين الهمزة والهاء[5].

وقد أدرك اللغويون العرب أن الهمزة المسهلة بين بين صوت آخر غير الهمزة المحققة ، فالمحققة صوت أصيل فى اللغة العربية يتكلم به جميع العرب ، أما المسهلة فهى صوت فرعى عنها يستحسن فى بعض ألسنة العرب ، ويمكن إجمال

---

(١) سر صناعة الإعراب جـ ١ صـ ٥٣ .

(٢) انظر النشر فى القراءات العشر ج١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢.

(٣) انظر : مناهج الكافية فى شروح الشافية ج٢ ص٢٣٨.

(٤) انظر : تاريخ الأدب للأستاذ حفنى ناصف ص١٢.

(٥) انظر : دائرة المعارف الإسلامية بالهامش ص٧ من المجلد الأول ـ وفى إبراز المعانى من حرز الأمانى ص١٤٧ قال أبو شامة الدمشقى: وكان بعض أهل الأداء يقرب الهمزة المسهلة من مخرج الهاء ، وسمعت أنا منهم من ينطق بذلك ، وليس بشىء ، والله أعلم.

ما بينهما من فروق[1] فيما يأتى :

(١) الهمزة المحققة تقع فى ابتداء الكلام وفى غيره . أما المسهلة فلا تقع فى ابتداء الكلام أبدًا[2].

(٢) الهمزة المحققة همزة قوية ، متمكنة ومشبعة ، مظهرة . أما الهمزة المسهلة فهى ضعيفة وليس لها تمكن المحققة لقربها من الساكن .

(٣) الهمزة المحققة تأتى متحركة وساكنة . أما المسهلة فلا تكون إلا متحركة .

(٤) الهمزة المحققة صوت احتباسى ، ليس بالمجهور ولا بالمهموس . أما المسهلة فليست صوتًا احتباسيًا «أى أن إقفال الأوتار الصوتية قد لا يكون تامًا حين النطق به ، بل يكون إقفالاً تقريبيًا ، وفى حالة التسهيل هذه يحدث الجهر ، ولكن المجهور ـ حينئذ ـ ليس وقفة حنجرية ، بل تضييق حنجرى ، أشبه بأصوات العلة منه بهذا الصوت»[3] أى بالهمزة المحققة .

* * *

(١) الفروق الثلاثة الأولى أخذناها من كلام ابن جنى فى سر الصناعة ج١ ص٥٣ ، ٥٤.

(٢) قال مكى بن أبى طالب فى كتابه الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ج١ ص١٧٢: «والعلة فى ذلك أن الهمزة المبتدأ بها لو خففت لم يكن بد أن تخفف بين بين ، أو على البدل ، أو بإلقاء الحركة: ولا سبيل إلى جعلها بين بين وهى مبتدأ بها؛ لأن همزة بين بين معناها بين الهمزة المتحركة وبين الحرف الساكن الذى هو من حركتها ، فهى تقرب من الساكن ، ولا يبتدأ بساكن ، ولا بما يقرب من الساكن؛ لأن الساكن يحتاج إلى حركة يوصل بها إلى اللفظ بالساكن أبدًا ، فكنت تحتاج أن تجعلها بين بين وتجتلب لها حرفًا متحركًا ، تصل به إلى النطق بها ، وذلك تغيير وتكلف وخروج عن لغة العرب ، فليس هذا فى لغتهم ، ولا سبيل فيها وهى مبتدأ بها إلى تخفيفها بالبدل؛ لأن التخفيف بالبدل فى غيره إنما يجرى على حكم حركة ما قبل الهمزة ، وهذه الهمزة ليس قبلها شىء لازم لها. ولا سبيل إلى إلقاء حركتها؛ إذ ليس قبلها شىء تلقى عليه حركتها ، (إذن) فقد امتنع الابتداء بهمزة مخففة على أى وجوه التخفيف كان تخفيفها اهـ» مطبعة دار الحديث بالقاهرة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

(٣) مناهج البحث فى اللغة ص٩٧.

المواضع القياسية لهمزة بين بين[1] :

أ - مواضع الاتفاق :

اتفق النحويون على أن الهمزة تسهل بين بين على مقتضى القياس فى المواضع الآتية :

(١) إذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها مفتوح جعلتها متوسطة فى إخراجها بين الهمزة والألف ، لأن الفتحة من الألف ، وذلك قولك فى سأل : سال ، وفى : قرأ : قرا ، والمنفصل فى ذلك كله كالمتصل نحو : قال أحمد إذا أردت التخفيف قلت : قال احمد .

(٢) إذا كانت مكسورة وقبلها مفتوح أو مكسور تجعل بين بين قياسًا ، فيقال فى سَئِمَ ويَئِسَ : سيم ، ييس ، ويقال فى مِئِينَ : ميين ، والمنفصل فى ذلك كالمتصل نحو : قالَ إبراهيم ، وعَبْدِ إبراهيم ، تصير : قال يبراهيم ، عبد يبراهيم ، بجعلها بين بين ، أى بين الهمزة والياء .

(٣) إذا كانت مضمومة وقبلها مفتوح أو مضموم تجعل بين بين قياسًا ، فيقال فى لَؤمَ : لوم ، وفى رءوس : رووس ، والمنفصل فى ذلك كالمتصل ، ففى نحو : هذا عبدُ أُختك ، ولعل عبدَ أُختك التاجرُ ، تسهل بين بين أيضًا ، أى بين الهمزة والواو .

(٤) إذا كانت الهمزة مسبوقة بألف وأريد تخفيفها ، فحكمها أن تجعل بين بين على القياس ، إلا أنها تجعل بينها وبين الألف إن كانت مفتوحة نحو : تساءل وتفاءل (فِعْلين) وتجعل بينها وبين الواو إن كانت مضمومة ، نحو : تساؤل وتفاؤل (مصدرين) ، وتجعل بينها وبين الياء إن كانت مكسورة نحو : قائل وبائع .

ب - مواضع الاختلاف :

اختلف فى تسهيل الهمزة بين بين فى موضعين اثنين :

(١) إذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها مضموم نحو : سئل (المبنى للمفعول) ، فذهب سيبويه إلى أن القياس فى تسهيلها أن تجعل بين الهمزة والياء الساكنة .

---

(١) لخصناها من كتاب سيبويه ج٣ ص٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٦ ومن شرح المفصل لابن يعيش ج٩ ص١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢. ومن شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، وما بعدها.

وأما أبو الحسن الأخفش ، فنسب إليه أنه كان يبدلها واوًا فيقول : سُول فى سئِل .

(٢) إذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها مكسور ، نحو : مستهزئون ، فسيبويه ، يجعلها بين بين ، والأخفش يبدلها ياء خالصة فيقول : مستهزيون .

ولكل من الأخفش ، وسيبويه حجة فيما ذهب إليه ، فالأخفش يرى أن الهمزة المكسورة ، المضموم ما قبلها ، لو جعلت بين بين ـ كما يقول سيبويه ـ لكانت كالياء الساكنة ، وهى لا تجىء بعد الضمة . وكذلك الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها لو جعلت بين بين لكانت كالواو الساكنة ، وهى لا تجىء بعد الكسرة ، كما لا تجىء الألف بعد الضمة والكسرة .

أما سيبويه فيرى أن الواو الساكنة لا يستحيل مجيئها بعد الكسرة ، وكذلك الياء الساكنة لا يستحيل مجيئها بعد الضمة ، فلم يمتنع ـ إذن ـ مجىء شبه الواو الساكنة بعد الكسرة ، وشبه الياء الساكنة بعد الضمة[1] .

وعلق ابن يعيش على ذلك الخلاف بأن قول الأخفش : «قول حسن» ، وقول سيبويه «أحسن» ، لأن الواو الساكنة لا يستحيل أن يكون قبلها كسرة كما استحال ذلك فى الألف ، وإنما عدولهم عن ذلك لضرب من الثقل ، وإذا لم يستحل ذلك فى الواو الساكنة ، لم يمتنع فيما قاربها[2] .

«وذهب بعضهم فى نحو (مستهزئون) و(سئل) إلى بين بين البعيد ، ونسب بعضهم هذا القول ـ أيضًا ـ إلى الأخفش ، وإنما ارتكب هذا الوجه من التسهيل هاهنا من ارتكبه ، وإن كان بعيدًا نادرًا؛ فرارًا مما لزم سيبويه فى بين بين المشهور من مجىء شبه الواو الساكنة بعد الكسر ، وشبه الياء الساكنة بعد الضم ، كما مرّ؛ ومما لزم الأخفش من مجىء الواو الصريحة ، متحركة بالكسر بعد الضم فى (سُول) ، ومن مجىء الياء الصريحة متحركة بالضم بعد الكسر فى (مستهزِيون) ، وذلك مرفوض فى كلامهم ، وليس بشىء ؛ لأنه لا يلزم سيبويه ـ على ما ذكرنا ـ محذور فى مجىء شبه الواو الساكنة بعد الكسر ، وشبه الياء الساكنة بعد الضم ،

---

(١) بتلخيص من شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٤٦.

(٢) شرح ابن يعيش ج٩ ص١١٢.

وكذلك لا يلزم الأخفش فيما ذهب إليه أمر شنيع ؛ لأن تخفيف الهمـزة عارض غير لازم»[1]، وهذا الوجه الذى قال عنه الرضى ، إنه مرفوض فى كلامهم ، فيما هو في الكلمة الواحدة ، قال عنه ابن الجزرى ـ أيضًا ـ فيما هو من كلمتين نحو (يشاء إلى) : وقد أبعد وأغرب ابن شريح في كافيه حيث حكى تسهيل الثانية كالواو [أى بين بين البعيد] وقال : ولم يصب من وافقه على ذلك ؛ لعدم صحته نقلا ، وعدم إمكانه لفظا ، فإنه لا يتمكن منه إلا بعد تحويل كسرة الهمزة ضمة ، أو تكلف إشمامها الضم وكلاهما لا يجوز ولا يصح ، والله تعالى أعلم[2].

وننبه ـ هنا ـ إلى أن ما نسبه ابن يعيش والرضى ، إلى الأخفش ، من الإبدال المطلق فى الموضعين السابقين ، قيده ابن الجزرى فى قوله : « والذى رأيته أنا فى كتاب معانى القرآن له (أى للأخفش) أنه لا يجيز ذلك إلا إذا كانت الهمزة لام الفعل نحو : (سنقرئك) ونحو (اللؤلؤ) . وأما إذا كانت عين الفعل نحو : (سئل) أو من منفصل نحو : (يرفع إبراهيم) و(يشاء إلى) فإنه يسهلها بين بين كمذهب سيبويه[3] . . . وحكى الأستاذ أبو حيان النحوى عن الأخفش الإبدال فى النوعين ، ثم قال : وعنه فى المكسورة المضموم ما قبلها من كلمة أخرى ـ التسهيل بين بين ، فنص له على الوجهين جميعًا فى المنفصل[4].

وننبه ـ أيضًا ـ إلى أن أباحيان فى (الارتشاف) نسب إلى الأخفش الإبدال فى الموضعين السابقين حال الاتصال ، ولم ينسب إليه بين بين البعيد ، وإنما نسبه إلى

---

(١) شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٤٦ ، ٤٧.

(٢) انظر النشر ٣٨٨/١ ، ٣٨٩ ، ٤٣٨ طبعة بيروت ، وشرح الرضى على الشافية ٥٤/٣ ، ٤٦؛ لتعرف أن تسهيل الهمزة بين بين له وجهان:
الأول - يسمى بين بين المشهور ، ومعناه أن تأتى بالهمزة فى حال تسهيلها بين الهمزة وبين حرف حركتها ،وتجعل الحركة التى عليها مختلسة سهلة بحيث تكون كالساكنة وإن لم تكنها ، وهو مذهب أئمة النحو كالخليل وسيبويه ، ومذهب جمهور القراء فى كل ما يجوز فيه بين بين.
الثانى ـ ويسمى بين بين البعيد ،ومعناه أن تأتى بالهمزة فى حال تسهيلها بين الهمزة وبين حرف حركة ما قبلها ، ونسب بعضهم هذا الوجه إلى الأخفش من النحويين فى تسهيل المضمومة بعد كسر ، والمكسورة بعد ضم ،ونسب إلى ابن شريح فى تسهيل المكسورة بعد ضم ، والوجه الأول هو المشهور والأوجه فى القياس ، وعليه عمل القراء .

(٣) النشر فى القراءات العشر ج١ ص٤٤٤ .

(٤) انظر : من مباحث الهمزة ص٢٣ ـ ونفس الموضع من المرجع السابق .

أبى الحسن شريح[1]. ويبدو أن أبا الحسن شريحا هذا حكى هذا المذهب فقط عن أبيه أبي عبد الله محمد بن شريح صاحب كتاب الكافى الذى يظهر أنه حكاه أيضًا عن غيره كما يفهم من عبارة ابن الجزرى «وقد أبعد وأغرب ابن شريح فى كافيه حيث حكى تسهيلها كالواو»[2]، يريد حكى تسهيل الهمزة المكسورة بعد أخرى مضمومة كالواو ، وإذن ، فهذا المذهب قديم قبل أبى الحسن شريح وأبيه ابن شريح[3]. ولا يفوتنا أن نذكِّر بأن للقراء وجوهًا أخرى فى تسهيل همزة (مستهزئون) ، وسوف نذكرها فى مكانها ـ إن شاء الله تعالى .

* * *

حكم همزة بين بين من حيث الحركة والسكون :

ذهب الكوفيون إلى أن همزة بين بين ساكنة ، واحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنها ساكنة ، أن همزة بين بين لا يجوز أن تقع مبتدأة ، ولو كانت متحركة لجاز أن تقع مبتدأة ، فلما امتنع الابتداء بها دل على أنها ساكنة ، لأن الساكن لا يبتدأ به[4].

أما البصريون ، فذهبوا إلى أنها متحركة ، قال سيبويه :«والمخففة (أى بين بين) فيما ذكرنا بمنزلتها محققة فى الزِّنة»[5]. ومعلوم ـ مما سبق فى بيان مواضع التسهيل بين بين القياسية ـ أن الهمزة المحققة لا يمكن أن تسهل بين بين إلا إذا كانت متحركة ، فإذا كانت المسهلة بين بين بوزن المحققة ، كانت دائمًا متحركة مثلها .

وقد استدل سيبويه على ذلك بحجة قوية ، وهى أن همزة بين بين ، قد يقع بعدها حرف ساكن فى غير القافية من الشعر ، ولو كانت ساكنة لالتقى ساكنان فى

---

(١) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج١ ص٦٤ تحقيق د. مصطفى خليل النماس.

(٢) النشر ج١ ص٣٨٨ ، ٣٨٩ بتصحيح على محمد الضّباع ـ دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) انظر : من مباحث الهمزة ص٢٤.

(٤) الإنصاف فى مسائل الخلاف ج٢ ص٣٨٨ ، ٣٨٩ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٥م ـ وانظر شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٤٥.

(٥) كتاب سيبويه ج٣ ص٥٤٩.

غير القافية ، وذلك مما لا يجوز ، وضرب لذلك مثلاً ببيت الأعشى :

أأنْ رأت رجلا أعشى أضَـرَّ بـه ريب المنون ودهر مفسد خَبِـلُ[1]

بناء على أن العرب لا تحقق الهمزتين أبدًا لما فيهما من الاستثقال ، فتكون الهمزة الثانية من قوله : (أأن) مسهلة بين بين ، لأنها مفتوحة بعد فتح ، وهى تقابل فى وزن العروض التاء من (مستفعلن) والتاء متحركة كما ترى ، ولا تسكن أبدًا لما يلزم عليه من اجتماع السواكن أو الساكنين ، وهذا البيت من البسيط ووزنه :

أأن رأت (متفعلن) رجلن (فعلن) أعشى أضر (مستفعلن) ربهى (فعلن) ريب لمنو (مستفعلن) نوده (فعلن) رن مفسدن (مستفعلن) خبلو (فعلن) فالهمزة الثانية فيه مقابلة للتاء من مستفعلن التى صارت (متفعلن) بعد أن دخلها الخبن ، فلو كانت الهمزة الثانية المخففة فى حكم الساكنة لالتقى ساكنان فى غير القافية ، وذلك مما لا يجوز .

وقد استدل ابن جنى على أنها متحركة بمثل ذلك فقال : ويدلك على أنها وإن كانت قد قربت من الساكن ، فإنها فى الحقيقة متحركة ، أنك تعتدها فى وزن العروض حرفًا متحركًا ، وذلك نحو قول كثير (من الطويل) :

أأن زم أجـمال وفارق جيرة وصاح غراب البين أنت حزيـن

ألا ترى أن وزن قولك : (أأن زم) : «فعولن» ، فالهمزة « ـ إذن ـ مقابلة لعين (فعولن) وهى متحركة كما ترى[2]. والاستدلال بهذا البيت أقوى من بيت الأعشى ، لأن كثيرًا من خزاعة ، وهى إحدى القبائل التى تسهل الهمزة ، فربما أنشده كثير بالهمزة المسهلة كما استدل به ابن جنى .

---

(١) البيت من البسيط ، وهو فى الديوان ٤٢ والكتاب ١٥٤/٣ ، ٥٥٠ ، والمقتضب ١٥٥/١ والإنصاف ٤٢٧ ، والحجة لأبى على الفارسى ٢١٣/١ وشرح الرضى على الشافية ٤٥/٣، وشرح ابن يعيش ٨٣/٣ ، وشرح شواهد الشافية ٣٣٢، ويروى (مُتْبِل) مكان (مفسد) ، وروى (مُفْنِد) أيضًا بمعناه ، من الفَنَد وهو الفساد ، ومعنى دهر خَبِلٌ: مُلْتَوٍ على أهله.

(٢) سر صناعة الإعراب ج١ ص٥٤.

وأقوى منهما فى الاحتجاج[1] بيت أبى طالب :

أمن أجل حبل لا أبــاك ضــربته بمنسأة قد جر حبلــك أحــبلا[2]

لأن أبا طالب من قريش التى لم تكن تحقق الهمزة فى كلامها ـ غالبًا ـ فهناك احتمال كبير ، فى أنه أنشده بتسهيل الهمزة فى كلمة (بمنسأة) ، ولو كانت هذه الهمزة المسهلة ساكنة ـ كما يقول الكوفيون ـ لم يستقم وزن البيت لأنه من الطويل وأجزاؤه : فعولن مفاعيلن ، ووزن التفعيلة الأولى والثانية من الشطر الأخير :

بمنســ (فعول) أتن قد جر (مفاعيلن) فالهمزة المسهلة مقابلة للميم فى (مفاعيلن) كما ترى ، وهى لا تكون إلا متحركة .

هذه أدلة قوية على أن همزة بين بين متحركة ، ولا يثبت أمامها ما احتج به الكوفيون من أنه لا يجوز الابتداء بها ، « لأنها إذا جعلت بين بين اختلست حركتها ، وقربت من الساكن ، والابتداء إنما يكون بما تمكنت فيه حركته ، وإذا جعلت بين بين فقد زال ذلك التمكن وقربت من الساكن ، وكما لا يجوز الابتداء بالساكن ، فكذلك لا يجوز الابتداء بما قرب منه »[3]. وفوق ذلك فإنَّ ما روى عن نطق القراء لهمزة بين بين ، يؤيد ما ذهب إليه البصريون من أنهـا متـحـركـة ، فـهـا هـو ذا أبو إسحاق الزجاج يروى عن أبى عمرو بن العلاء كيفية نطقه لهمزة بين بـين فيقول : « فأما الهمزتان إذا كانتا مكسورتين نحو قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ (النور:٣٣)، وإذا كانتا مضمومتين نحو قوله : ﴿ أُوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ (الأحقاف:٣٢) ، فإن أبا عمرو يخفف الهمزة الأولى فيهما ، فيقول : ﴿ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ ﴾ (النور:٣٣) و﴿ أُوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ (الأحقاف:٣٢) فيجعل الهمزة الأولى من (البغاء) بين الهمزة والياء ، ويكسرها ، ويجعل الهمزة الأولـى فـى قـولـه :

---

(١) انظر من مباحث الهمزة فى العربية ص٢٥.

(٢) البيت من الطويل ، منسوب لأبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الصحاح واللسان (ن س أ) وفى الدر المنثور ٢٥١/٥ منسوب إلى عبد المطلب ، وبلا نسبة فى مجاز القرآن ١٤٥/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٨/١٤ ، والدر المصون ٤٣٦/٥.

(٣) الإنصاف فى مسائل الخلاف ج٢ ص٣٨٩ وقارن مع الكشف لمكى بن أبى طالب ١٧٢/١ ، وشرح الرضى على الشافية ٤٥/٣.

﴿ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾(الأحقاف:٣٢) بين الواو والهمزة ويضمها »[١]. فقوله يكسرها ، وقوله : يضمها يدل صراحة على أنها متحركة ، ولا يقال إن أبا عمرو من البصريين ، فمذهبه مذهبهم ، لأن أبا عمرو فى هذه الحالة قارئ لا لغوى ، يعول على الرواية والتلقين الذى سمعه من شيوخه ، ولو خالف مذهبه اللغوى .

إذن فالأرجح هو مذهب البصريين ، لقوة أدلته من ناحية ، ولأنه يتفق مع النطق السليم لهمزة بين بين عند القراء ، والقراءات ـ كما نعلم ـ هى المرآة الصادقة لنطق العرب الخلّص فى عصر صدر الإسلام .

همزة بين بين فى نظر المُحْدَثِين :

إن ما تقدم من الحديث عن همزة بين بين ، ينبىء عن اضطراب القدماء من النحويين فى ضبط حالات هذه الهمزة ، فتقسيمهم لها إلى بين بين المشهور أو القريب ، وبين وبين غير المشهور أو البعيد ، وتعدد أسمائها لدى القراء (الهمزة الممدودة والمطولة والملينة والمسهلة والضعيفة والمخفاة والمختلسة والمذابة...)[٢]، واختلاف النحويين فيها هل هى متحركة أو ساكنة ؟؟... ، كل ذلك يدل على ما نالتْه هذه الهمزة من عناية اللغويين والنحاة والقراء ، ورغم كل ذلك بقيت غامضة كل الغموض « لا يظهر سر هذه الهمزة ولا ينكشف حالها إلا بالمشافهة »[٣] ـ كما قال ابن يعيش .

وهذا الغموض لم يثن المُحْدَثِين عن أن يقولوا كلمتهم فيها ، حتى وإن جاء تصورهم لها على نقيض ما تصوره الأقدمون الذين سمعوا وشافهوا .

فالدكتور إبراهيم أنيس : كان على حذر كبير حين وصف همزة بين بين ، بأنها « الحالة الغامضة لنطق الهمزة »[٤] ، وكان منصفًا ودقيقًا فى التعبير ، حين قال : « أما التكييف الصوتى لهذه الحالة ، فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفًا علميًا مؤكدًا ، وإذا صح النطق الذى سمعته من أفواه المعاصرين من القراء ، تكون هذه

---

(١) معانى القرآن وإعرابه للزجاج بتحقيق د. عبد الجليل شلبى ج١ ص٤٣.
(٢) كتاب الإضاءة فى بيان أصول القراءة ص٢٩ ، ومقدمة فى أصول القراءات ٣٨.
(٣) شرح ابن يعيش ج٩ ص١١٢.
(٤) الأصوات اللغوية ص٩٢ - الطبعة الرابعة.

الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام ، تاركة وراءها حركة ، فالذى نسمعه - حينئذ - لا يمتُّ إلى الهمزة بصلة ، بل هو صوت لين قصير يسمى - عادة - حركة الهمزة من فتحة أو ضمة أو كسرة»[1]، فهو فى هذا النص وصف ما سمعه هو ونطقه القراء المعاصرون ، أما فى نطق الفصحاء فى عصر صدر الإسلام ، وفى نطق القراء المتقدمين ، فلم يجزم بأنها كانت كذلك .

أما غيره ، كالأستاذ محمد الأنطاكى مثلاً : فلم يفرق بين نطق قديم أو حديث ، وقال : «الهمزة المُخَفَّفة وتسمى همزة بين بين ، والتسمية لسيبويه ، ومعنى بين بين أن تنطق الهمزة بين الهمز والألف إن كانت مفتوحة مثل : أَان ، وبينها وبين الياء إن كانت مكسورة مثل : أِان ، وبينها وبين الواو إن كانت مضمومة مثل : أُاخذ . وحقيقة هذا النطق أن تلفظ حركة الهمزة فقط من غير أن تلفظ الهمزة نفسها ، ففى المثال الأول يكون النطق هكذا : (أ - َ ن) وفى المثال الثانى هكذا : (أ - ِ ن) وفى الثالث هكذا : (أ - ُ خذ)[2].

كذلك ذهب الدكتور عبد الصبور شاهين ، إلى إنكار وجود همزة بين بين ، وإلى أنه «ليس للهمزة سوى حالة واحدة هى حالة أدائها أداء كاملاً»[3] ، أى محققًا ، «وليس من الصواب أن يقال : هذه همزة مسهلة أو همزة بين بين ، أو هذه همزة مقلوبة هاء ، إذْ لا وجود - فى الواقع - للهمزة فى هذه الحالات ، حيث إن وضع الحنجرة قد تغير إلى وضع آخر غير وضع الهمزة»[4]. وبعد إجراء بعض التجارب على جهاز (السبكترواجراف) قرر : «أنه لا يوجد فى علم الأصوات ما يسمى بهمزة بين بين ، وإنما هى حركة فى إثر همزة متحركة»[5] . وفى مكان آخر قال : «إن بين بين يعنى - فى الواقع - سقوط الهمزة أساسًا ، واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشرة بحيث يتكون لدينا المزدوج بمعناه الكامل ، وفى

---

(١) الأصوات اللغوية ص٩٢ - الطبعة الرابعة .

(٢) المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها ج١ ص٤٢.

(٣) الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ص١٤٣. [صـ ١٦٨ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى] .

(٤) المرجع السابق ص١٤٤. [صـ ١٦٨ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى] .

(٥) المرجع نفسه ص١٤٧ . [صـ ١٦٨ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى] .

هذه الصورة للمزدوج ، يضعف وجود الانزلاق الذى تنشأ عنه أنصاف الحركات (الواو والياء) [1].

أما الدكتور أحمد علم الدين الجندى ، فلم ينكر همزة بين بين ، وإنما قال عنها : « إنها لا تتكون فى الحلق حيث تتكون الهمزة الأصلية ، بل فى الموضع الواقع بين الحلق وجوف الفم ، ولذلك يطلق عليها بين بين ، أى بين الحروف الحلقية والحروف الجوفية (ا . و . ى) [2].

* * *

تعقيبات :

(١) الواقع أنه يجب أن نفرق بين نطق العرب الفصحاء لهمزة بين بين ، فى صدر الإسلام ، وبين نطقنا لها ، إذا ما أردنا وصف همزة بين بين ، فالذى كان ينطقه العرب فى صدر الإسلام ، ووصفه النحاة السابقون ، ووردت به القراءات القرآنية ، شىء مجهول بالنسبة لنا تمامًا ، لعدم المشافهة ، ولا يظهر سر هذه الهمزة ولا ينكشف حالها إلا بالمشافهة ، كما قال ابن يعيش ، وما لا يمكن التعرف على حقيقته ، لا يجوز ـ بالطبع ـ إثباته أو نفيه .

(٢) إن وصف المحدثين لهمزة بين بين بأنها عبارة عن حركة تحل محل الهمزة ، ليس شيئًا جديدًا ، بل هو رأى قديم كان يقول به أبو عبيدة ويحكيه ، قال أبو إسحاق الزجاج : « وحكى أبو عبيدة أن أبا عمرو كان يجعل مكان الهمزة الأولى كسرة فى (البغاءِ إن) وضمة فى (أولياءُ أولئك) . وأبو عبيدة لا يحكى إلا ما سمع لأنه الثقة المأمون عند العلماء ، إلا أنه لا يضبط مثل هذا الموضع ؛ لأن الذى قاله محال ، لأن الهمزة إذا سقطت ، وأبدلت منها كسرة أو ضمة ـ على ما وصف ـ بقيت الحركتان فى غير حرف ، وهذا محال ؛ لأن الحركة لا تكون فى غير محرك »[3] قال أبو إسحاق : « والذى حكيناه آنفًا رواية سيبويه عن أبى عمرو ، وهو أضبط لهذا »[4].

---

(١) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص١٠٥.

(٢) اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة ص٢٤٨.[صـ٣٢٣ اللهجات العربية في التراث].

(٣) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ج١ ص ٤٣ .

(٤) المرجع السابق ج١ ص٤٤.

(٣) إن مثل هذا المحظور الذى رتبه الزجاج على ما حكاه أبو عبيدة ، يترتب على قول المُحْدَثِين ، وفى تعبير أوضح وأدل على المراد نلحظ أن القول بنفى همزة بين بين وإحلال الحركة أو المزدوج محلها ، يؤدى إلى الخروج على النظام المقطعى فى كثير مما أثر عن العرب من أشعار ، فالأبيات الثلاثة التى ذكرناها قريبًا وفيها الهمزة الثانية مسهلة بين بين فى (أ أن زم) و(أ أ ن رأت) وفى (بمنسأة) ، لو كانت هذه الهمزة عبارة عن حركة ، لكان المقطع الثانى فى (أ أن) مبدوءًا بحركة ، ولكان المقطع الرابع فى (بمنسأة) مبدوءًا بالحركة - أيضًا - بل عبارة عن حركة . . فهل يوجد مثل ذلك فى نظام المقاطع العربية؟؟ ، وهل يوجد فيها مقطع يتكون من حركة فقط؟؟ .

(٤) إن همزة بين بين لا تتكون فى الموضع الذى بين الحلق وجوف الفم - كما قال الدكتور الجندى - ، وإنما تتكون فى نفس الموضع الذى تتكون فيه الهمزة الأصلية ، وكل ما بينهما من فرق هو أن الاحتباس يحدث مع الهمزة الأصلية ، أما مع الهمزة المسهلة بين بين ، فيكون إقفال الأوتار الصوتية إقفالاً تقريبيًا ، وفى حالة التسهيل هذه ، يحدث الجهر ، ولكن المجهور حينئذ ليس وقفة حنجرية ، بل تضييق حنجرى[١] .

* * *

ثانيًا : التسهيل بالإبدال :

ذكرنا أن تسهيل الهمزة بالإبدال يأتى فى المرتبة الثانية بعد تسهيل الهمزة بين بين ، ونذكر - هنا - أن الهمزة « إنما تخفف بالبدل إذا امتنع تخفيفها بين بين . . . . كما لا تخفف بالحذف إلا إذا امتنع تخفيفها بين بين ، وبالبدل فهذه طريقة تخفيفها على القياس ، فإذا خففت بالحذف حيث يجوز البدل أو بين بين فهو من التخفيف الشاذ الذى لا يقاس عليه »[٢] .

وكذلك إذا خففت بالإبدال حيث يجوز بين بين يكون التخفيف شاذًّا ، وسوف نقتصر - هنا - على بيان المواضع القياسية وغير القياسية التى تسهل الهمزة فيها

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٩٧ - د. تمام حسان .

(٢) كتاب الإقناع فى القراءات السبع لابن الباذش ورقة ٨٣ من المصورة بدار الكتب رقم (١٩٦٦٦ب) - وانظر المطبوع منه صـ٢٧٠ تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدى .

بالإبدال ، تاركين الحديث عن علاقة الهمزة بالحروف التى تبدل منها إلى فصل مقبل إن شاء الله تعالى .

أ - المواضع القياسية :

(١) إذا كانت الهمزة مفتوحة ، وكان قبلها حرف مكسور ، فإنك تبدل مكانها ياء فى التخفيف ، وذلك قولك فى المِئَر : مِيَر ، وفى يريد أن يقرئك : يقرِيَك . ومن ذلك : من غلامِ يَبيك إذا أردت : من غلام أبيك[١] .

(٢) إذا كانت الهمزة مفتوحة ، وكان قبلها ضمة ، وأردت أن تخفف أبدلت مكانها واوًا ، كما أبدلت مكانها ياء حيث كان ما قبلها مكسورًا ، وذلك قولك فى (التؤدة) : تُوَدة . وفى (الجُؤَن) : جُوَن ، وتقول : غلامُ وَبيك إذا أردت : غلام أبيك[٢] .

ولا يجوز فى الموضعين السابقين التسهيل بين بين ، لأنها - حينئذ - تقرب من الألف ، لأنها مفتوحة ، والألف لا يكون ما قبلها مضمومًا ولا مكسورًا ، ولا يجوز الحذف فيهما ، لأن ما قبلهما متحرك ، والحذف لا يكون إلا بعد الساكن ، حتى يمكن إلقاء حركة الهمزة عليه[٣].

(٣) إذا كانت الهمزة ساكنة ، وقبلها فتحة ، فأردت أن تخفف ، أبدلت مكانها ألفًا ، وذلك قولك فى رأْس ، وبأْس ، وقرأْت : راس وباس وقرات[٤] .

---

(١) كتاب سيبويه ج٣ ص٥٤٣ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

(٢) انظر الموضع السابق.

(٣) بتلخيص من الموضع السابق.

(٤) وقد جاء هذا التخفيف بالبدل على وجه القياس فى شعر حبيب بن أوس الذى رفض فيه إجابة المهلب بن أبى صفرة إلى طلب القتال فى معركة غير متكافئة - يقول حبيب :

يقـــول لى الأمـــير بغـــير علـــم تقـــدم حـــين جـــد بـــه المـــراس

فمـــالى إن أطعتـــك مـــن حيـــاة ومـــالى غـــير هـــذا الـــرأس راس

(الكامل للمبرد ٣/٢٢١) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع من دون تاريخ .

وجاء في بيت جندل :

..... **بالكـــاس والأيـــدى دمُ البـــوائج**

والكاس فيه مخفف من الكأْس بالهمز على جهة القياس . وفي حديث عمر بن الخطاب لأجعلنَّ الناس باجاً واحدا» أى طريقة واحدة في العطاء ، ذكره ابن منظور في مادة (بأج)، والبأْج --

وإن كان ما قبلها مضمومًا ، فأردت أن تخفف ، أبدلت مكانها واوًا ، وذلك قولك : ـ فى الجُؤْنة والبُؤْس والمُؤْمن : الجُونة والبُوس والمُومن .

وإن كان ما قبلها مكسورًا أبدلت مكانها ياء ... وذلك قولك فى الذِّئب والمِئْرة : ذِيب ومِيرة[1]. وحكم المنفصل فى ذلك كحكم المتصل ، فمن ذلك قوله تعالى : (إلى الهداتنا) (يقولوذَنْ لى) (الذِيتُمن) فى ﴿ ٱلْهُدَىٰٓ ٱئْتِنَا ﴾ (الأنعام:٧١)، ﴿ يَقُولُ ٱئْذَن لِّى ﴾ (التوبة:٤٩) ، ﴿ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ ﴾ (البقرة: ٢٨٣) [2]، ولا يجوز فى الهمزة الساكنة أن تجعل بين بين ، لأنه ليست لها حركة حتى تجعل بينها وبين حركتها ، ولا يجوز فيها الحذف لعدم وجود ما يدل عليها إذا حذفت .

(٤) إذا كانت الهمزة متحركة بعد واو أو ياء زائدة ساكنة ، لم تلحق لتلحق بناء ببناء ، وكانت مدة فى الاسم ، والحركة التى قبلها بمنزلة الألف ، أُبْدِل مكانها واو إن كانت بعد واو ـ وياء إن كانت بعد ياء وأدغمتا ، وذلك قولك فى (خطيئة) : خطيّة ، وفى النسيء : النسىّ يا فتى ، وفى مقروء ومقروءة : هذا مقروّ وهذه مقروّة ، ويلحق بهذا الموضع الهمزة الواقعة بعد ياء التصغير ، لأنها لا تتحرك أبدًا ، فهى بمنزلة المد الزائد لمحض الإشباع ، وذلك نحو قولك فى أفيئس ـ تصغير أفؤس ـ «جمع فأس» : أفيّس[3] ، ولا يجوز التسهيل بين بين فى هذا الموضع لئلا يلتقى الساكن (حرف المد) مع شبه الساكن (بين بين) ولا يجوز الحذف لأن حرف المد لا يتحمل الحركة .

--أصله بالفارسية (باها) أى ألوان الأطعمة ، ويقال أول من تكلم به عثمان ﷺ ، ومثله الجاش ، والفاسُ ، والكاسُ ، الراسُ ، وذكره ابن منظور أيضا (ب و ح) وفيه : قال ابن سيده : حكاه أبو زيد غير مهموز ، وحكاه ابن السكيت مهموزا .

(١) انظر كتاب سيبويه ج٣ ص٥٤٣ ، ٥٤٤ ، والكامل للمبرد ٨٠/٢ .

(٢) انظر ابن يعيش ج٩ ص١٠٨ .

(٣) مع بعض تلخيص من سيبويه ج٣ ص٥٤٧ .

(٥) تبدل الهمزة المكسورة بعد الضم واوًا ، والهمزة المضمومة بعد الكسر ياء على مقتضى القياس عند الأخفش خلافًا لسيبويه ، وقد سبق أن ذكرنا الخلاف بينهما وحجة كل منهما[١].

ب - المواضع غير القياسية :

هذه المواضع تشمل كل همزة أبدلت ، وكان قياسها الحذف أو بين بين أو الإبدال على وجه آخر ، ويمكن تصنيف هذه المواضع إلى ما يأتى[٢] :

(١) **إبدال قضت به ضرورة الشعر** : وهو الذى لو لم يرتكبه الشاعر لانكسر البيت الشعرى ، وفسد الوزن العروضى ، ومن الشواهد التى ذكرها سيبويه لهذا اللون من الإبدال قول الفرزدق :

راحت بمسلمة البغال عشية فارعى فزارةُ لا هناكِ المرتع[٣]

ولم يزد سيبويه على أن قال : فأبدل الألف مكانها (أى مكان الهمزة فى هنأك) ولو جعلها بين بين لانكسر البيت[٤]، ولتوضيح ذلك نقول : إن هذا البيت من بحر الكامل ، وأجزاؤه (متفاعلن : ست مرات) ، والهمزة فى قوله (لا هَنَأَكِ) الأصل فيها أن تكون متحركة بالفتح ، ولكنها تقابل فى الوزن العروضى النون من (متفاعلنْ)

---

(١) انظر المواضع القياسية لهمزة بين بين رقم (ب) مما سبق فى ص٤٨ وما بَعْدَها.

(٢) هذا التصنيف قريب مما ذكره المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار فى كتابه «من مباحث الهمزة العربية» ص٤٠.

(٣) هو فى الكتاب لسيبويه ج٣ ص٥٥٤ ، والمقتضب ١٦٧/١ ، والكامل ٨٠/٢ ، والخصائص ١٥٢/٣ ، والمحتسب ١٧٣/٢ ، وشرح المفصل ١٢٢/٤ - ١١١/٩، ١١٣ ، وشرح شواهد الشافية ٣٣٧/٤ وهو دعاء على قبيلة فزارة ألا تهنأ بولاية عمر بن هبيرة الفزارى على العراق بعد عزل مسلمة بن عبدالملك ، وقد راحت به بغال البريد إلى حيث يقيم بعد العزل. والفرزدق تميمى ليس من لهجته تخفيف الهمزة ، لكنه اضطر إليه ، فأبدل الهمزة المفتوحة بعد فتح ألفًا ، ولم يسلك طريق القياس فى التخفيف وهو بين بين ؛ لئلا ينكسر البيت.

(٤) الكتاب لسيبويه ج٣ ص٥٥٤ .

والنون ساكنة أبدًا ولا يمكن تحريكها ، فكان الشاعر مضطرًا إلى تخفيف الهمزة ، والعدول عن القياس فيها وهو بين بين ـ لأن همزة بين بين متحركة على القول الصحيح ـ إلى الإبدال حرفًا من جنس حركة ما قبلها وهو الألف ، حتى يستقيم الوزن العروضى . ومن الشواهد ـ أيضًا ـ قول حسان بن ثابت :

سالت هذيل رسـول الله فاحشـة ضلت هذيل بما قالت ولم تصب[1]

والأصل فيه (سألت) بالهمزة المفتوحة،لكن لما كان هذا البيت من بحر البسيط، وكانت الهمزة تقابل السين من (مستفعلن) وهى ساكنة أبدًا ولا تقبل الحركة ، اضطر الشاعر إلى إبدالها ألفًا على غير القياس فيها ، لئلا ينكسر الوزن العروضى .

ومنها قول القرشى زيد بن عمرو بن نفيل :

سـالتانى الطـلاق إذ رأتـانى قل مالى قـد جئتمـانى بنكـر[2]

والأصل (سألتانى) لكن هذا البيت من بحر الخفيف ، وأجزاؤه : (فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن) مكررة ، فاضطر الشاعر إلى إبدال الهمزة ألفًا ، لأنها تقابل ألـف (فاعلاتن) ـ ثانـى السبـب الخفيف ـ وهى لا يمكـن تحريكها ، ومن شواهد

---

(١) البيت من البسيط ، قاله حسان بن ثابت ، وهو فى ملحق ديوانه ٣٧٣ وفيه (بما جاءت) مكان (بما قالت) ، وفى الكتاب ٤٦٨/٣ ، ٥٥٥ والمقتضب ١٦٧/١ ، والحجة لأبى على الفارسى ١٦٩/٢ ، والمحتسب ٩٠/١ ، وشرح ابن يعيش ١١٤/٩ ، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٣٤١ ، والممتع ٤٠٥ ، والمخصص ٢١٨/١٢ ، والدر المصون ٣٧٣/٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٩/١٨ ويرى أيضًا (بما سالت) و(بما جاءت) مكان (بما قالت) ، والبيان فى مقاصد القرآن للقنوجى ٢١٩ (رسالة ماجستير).

(٢) البيت فى الكتاب لسيبويه ٥٥٥/٣ ، وهو فى شرح شواهد الشافية ٣٣٩/٤، وخزانة الأدب ٩٧/٣، والهمع ١٠٦/٢ - وقبله :

تلك عِرْسَـايَ تنطقـانِ بِهُجْـرٍ وتقـولان قـول زُورٍ وهَتْـرِ

وعِرْسَايَ: مثنى العِرْس بالكسر وهى الزوجة.

وقد أبدل الشاعر الهمزة فى (سألتانى) ألفًا لئلا ينكسر وزن البيت.

سيبويه ـ أيضًا ـ قول عبدالرحمن بن حسان بن ثابت (من بحر الوافر) :

وكنـــت أذلّ مـــنْ وَتـــد بقـــاع يُشجِّج رأسَه بـــالفهر واجـــى[1]

وأصله (بالفهرواجئ) أى : يشجِّج واجئٌ رأسَه ، وهذه الهمزة المضمومة بعد الكسر حكمها أن تسهل بين بين على القياس عند سيبويه ، لكن لمّا كان هذا البيت من بحر الوافر ووزنه :

مفـــاعلتن مفـــاعلتن مفاعـــلْ مفـــاعلتن مفـــاعلتن مفاعـــلْ

وكانت الهمزة المتحركة فى (واجئ) تقابل اللام فى التفعيلة الأخيرة وهى ساكنة ، اضطر الشاعر إلى إبدالها ياء ، لضرورة الشعر وإقامة الوزن العروضى .

هذا رأى سيبويه ـ كما يفهم من كلامه ، لكن شيخ الإسلام «زكريا الأنصارى» علق على هذا البيت بما يخالف رأى سيبويه فقال:«وأما إبدالها ياء فى قول الشاعر:

وكنـــت أذل مـــن وتـــد . . . . إلخ

فعلى القياس لسكونها للوقف خلافًا لسيبويه فىقوله : إنه على خلاف القياس»[2]. وكذلك رأى الرضى فى شرح الشافية[3]، وابن يعيش فى شرح المفصل[4] ، والذى يبدو أن الأمر ـ كما قال سيبويه ـ ، لأن الجيم هى الروى فى القصيدة ؛ إذْ لو وقف على الهمزة المخففة لكانت الياء هى الروى ، لأن المخففة

---

(١) البيت فى الكتاب ٥٥٥/٣ والكامل للمبرد ١٧٩/١ ، ٨٢/٢ ، والخصائص ١٥٢/٣ ، وشرح المفصل ١١١/٩ ، ١١٤ ، وشرح شواهد الشافية ٣٤١/٤ وفيه يخاطب عبد الرحمن بن حسان عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاصى حينما افتخر الثانى على الأول بأن الخلافة فى قريش وليست فى الأنصار ، فأجابه الأول بأنه لولا مكانه من الخلفاء لكان فى موضع الذلة والهوان .
ويشجّج: مبالغة فى يشج رأسه إذا جرحه وشق لحمه .
والفِهْر : الحجر ملء الكف. والواجى: الذى يدق ، اسم فاعل من وجأت عنقه إذا ضربته. وهو شاهد على إبدال الهمزة من (واجئ) ياء ؛ لئلا ينكسر وزن البيت ـ وفيه أقوال أخرى ذكرها البغدادى فى شرح شواهد الشافية.

(٢) مناهج الكافية فى شروح الشافية ج٢ ص١٧٨.

(٣) شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٥٠ .

(٤) شرح ابن يعيش ج٩ ص١١٤ .

تخفيفًا قياسيًا فى حكم المحققة ، إذن فالروى هو الجيم[1] ويجب أن تكون الياء فى (واجى) ياء محضة ، أبدلت من الهمزة إبدالاً غير قياسى ، ولا يكون فيها شائبة التخفيف[2] ، (أى القياسى) . ويفهم من ذلك أن الهمزة عند سيبويه تبدل لضرورة الشعر ألفًا بعد الفتحة ، وياء بعد الكسرة ، وواوًا بعد الضمة ، ما دامت متحركة أيًا كانت حركتها ، فقد رأينا أن الهمزة المضمومة فى (واجئ) أبدلت ياء من أجل الكسرة قبلها للضرورة عنده ، وهذا يفهم - أيضًا - من عبارته المطلقة « واعلم أن الهمزة التى يحقق أمثالها أهل التحقيق من بنى تميم ، وأهل الحجاز ، وتجعل فى لغة أهل التخفيف بين بين تبدل مكانها الألف ، إذا كان ما قبلها مفتوحًا ، والياء إذا كان ما قبلها مكسورًا ، والواو إذا كان ما قبلها مضمومًا ، وليس ذا بقياس متلئب (أى لازم) نحو ما ذكرنا ، وإنما يحفظ عن العرب . . . إلى أن قال : « وقد يجوز فى ذا كله البدل حتى يكون قياسًا متلئبًا إذا اضطر الشاعر[3].

أما ابن يعيش فقد قيد هذا اللون من الإبدال بأن تتوافق حركة الهمزة مع الحركة قبلها ، فقال : « وقوم من العرب يبدلون من هذه الهمزات التى تكون بين بين حروف لين ، فيبدلون من المفتوحة المفتوح ما قبلها ألفًا ، فيقولون فى (سأل) : (سال) وفى (قرأ) (قرا) وفى (منسأة) : (منساة) ، ومن المضمومة المضموم ما قبلها واوًا ، ومن المكسورة المكسور ما قبلها ياء ، وذلك شاذ ليس بمطرد كما قال سيبويه . . . وإنما باب ذلك الشعر ضرورة»[4]. وقد تابعه فى هذا التقييد الرضى فى شرح الشافية ، واستدرك عليه أنه لم يقيد الواو والياء المقلوب إليهما بالسكون ،

---

(١) نعم الروى فى القصيدة الجيم ، وذلك واضح فى الأبيات التى قبل هذا البيت :

وأمـــا قولـــك الخلفـــاء منـــا ... فهم منعـــوا وريـــدك مـــن وِداج

ولولاهم لكنـــت كحـــوت بحـــر ... هوى فى مظلم الغمـــرات داجـــى

وكنـــت أذل مـــن وتـــد بقـــاع ... يشـــجج رأســـه بـــالفهر واجـــى

(٢) انظر من مباحث الهمزة فى العربية ص٤١ ، ص٤٢.

(٣) كتاب سيبويه ج٣ ص٥٥٣ ، ٥٥٤.

(٤) شرح ابن يعيش ج٩ ص١١٢ ، ١١٣ .

والأولى أن يقول : ياء ساكنة ، وواوًا ساكنة ، كما قدمنا ، فعلى هذا لا يقلب (لؤم) و(سئم) ألفًا لا فى الضرورة ولا فى غيرها ، وكذا لا يقلب نحو (مستهزئون) و(مائة) ياء ساكنة ، ونحو : (سئل) و(مؤجل) واوًا ساكنة[1] .

ويبدو أن الحق فى جانب سيبويه ، لأن بعض الشواهد التى أبدلت فيها الهمزة للضرورة تؤيد ما ذهب إليه ، وقد ذكرنا بيت عبد الرحمن بن حسان قريبًا ، وهو مؤيد لإطلاقه فى أن الهمزة تبدل ياء بعد الكسرة وإن لم تكن مكسورة ، ومثل هذا قول جبار بن جزء بن ضرار :

رب ابن عم لسليمى مُشْمَعل يحبه القوم وتشناه الإبلْ[2]

وإنما هو (تشنؤه) ، أبدلت فيه الهمزة بعد الفتحة ألفًا ، مع أنها ليست مفتوحة[3] . ومما يؤيد إطلاق سيبويه ـ أيضًا ـ قول البحترى كما جاء فى عبث الوليد (من بحر الخفيف) :

أجد النار تستعار من النا ر وينشو من سُقْم عينك سقمى[4]

والأصل فيه : (وينشأ) ، لكن الشاعر أبدل الهمزة ألفًا لضرورة الشعر ، لأنها تقابل النون من (فاعلاتن) ثم حولها إلى الواو بعد أن ضم ما قبلها[5].

(٢) **إبدال فى غير مكانه** : وهو ما أبدلت فيه الهمزة فى غير ضرورة الشعر ، وكان قياسها بين بين أو الحذف .

---

(١) شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٥٠ .

(٢) البيتان من الرجز ، نسبهما الأعلم إلى الشماخ ، والصحيح نسبتهما إلى ابن أخيه جبار ، كما فى ديوان الشماخ ١٠٩ ، والكتاب ١٧٧/١ (الهامش) ، وينظر : الكامل للمبرد ١١٦/١ ، ومجالس ثعلب ١٢٦/١، وشرح شواهد الإيضاح لأبى على الفارسى ١٦٨، والمخصص ٣٧/٣، ورسالة الملائكة ١٩٨ ، وخزانة الأدب ١٧٣/٢ ، ٢٣٣/٤.

(٣) انظر : من مباحث الهمزة العربية ص٤١.

(٤) انظر : عبث الوليد ص٢٠٥ شرح أبى العلاء وتصحيح محمد عبدالله المدنى.

(٥) وفى لسان العرب ٤٤٣٤/٦: وحكى قطرب : نشا ينشو لغة فى نشأ ينشأ ، وليس عنده على التحويل.

أ - ومن الأمثلة التى أبدلت فيها الهمزة ، وكان حقها بين بين ، قولهم : (منساة) فى (المنسأة) ، وقولهم : (سال) فى (سأل) ، وقد جاء ذلك فى القراءات القرآنية ، ففى اللفظ الأول قال ابن خالويه : ـ فى قوله تعالى : ﴿ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾ (سبأ:١٤) يقرأ بالهمز وتركه ، فالحجة لمن همز أنه أتى باللفظ على أصل الاشتقاق ؛ لأن العصا سميت بذلك لأن الراعى ينسئ بها الإبل عن الحوض ، أى يؤخرها ، والحجة لمن ترك الهمز أنه أراد التخفيف»[١] ، والقراءة بالإبدال لنافع وأبى عمرو وأبى جعفر[٢]. وفى اللفظ الثانى : قال ابن خالويه ـ فى قوله تعالى ـ : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج:١) : يقرآن بإثبات الهمز وطرحه ، فالحجة لمن همز أنه أتى به على الأصل ، والحجة لمن ترك الهمز أنه أراد التخفيف[٣]. والقراءة بالإبدال ـ فى هذا اللفظ ـ لنافع وابن عامر وأبى جعفر[٤] .

هذا . . . وتوجد لهذا اللون من الإبدال أمثلة كثيرة فى القراءات ، وسوف نرجئ ذلك لفصول مقبلة إن شاء الله تعالى .

وقد يلتزم هذا اللون من الإبدال فى بعض الكلمات ، ومن ذلك قولهم : فى جمع (ذؤابة) : (ذوائب) ، وأصل الجمع : ذآئب ، فأبدلوا من الهمزة الأولى واوًا فرارًا من اجتماع المتشابهات (همزتين بينهما ألف)؛ ويظهر أنهم جاءوا بالجمع على التخفيف هكذا مشاكلة للواحد المخفف (ذوابة) والتزموه ، وهذا على غير قياس ، ولو جرى على مهيع القياس للحق التخفيف الهمزة الثانية لا الأولى ، فإنها هى التى يحصل بها الثقل[٥] ، ولكان التخفيف بالتسهيل بين بين .

ب - ومما أبدلت فيه الهمزة ، والقياس فيه الحذف ، قولهم فى (الكَمْأَةِ) و(المَرْأَةِ) : الكَمَاة ، والمَراة ، والإبدال ـ هنا ـ على غير القياس ، لأن الهمزة المتحركة المسبوقة بساكن صحيح ، قياس تخفيفها الحذف كما سيأتى .

---

(١) الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ص٢٩٣.

(٢) تقريب النشر فى القراءات العشر ص١٦٢.

(٣) الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ص٣٥٢.

(٤) انظر : إتحاف فضلاء البشر فى القراءات ص٤٢٣.

(٥) لغويات الشيخ محمد على النجار ص٧ «بتصرف».

ولعدم قياسية ذلك الإبدال ، قال عنه سيبويه : «ومثله قليل»[1] وقال أبو سعيد السيرافى : إن ذلك لا يطرد عند البصريين ، وحكى أن الكسائى والفراء طرداه ، وإنما قاسه الكوفيون جريًا على مذهبهم فى بناء القواعد على ما قل «وندر»[2] ، ويصلح شاهدا على ذلك الإبدال قول البحترى (الطويل) :

ولو كان مـا خُبِّرتـه أو ظَنَنْتَـه لما كان غَرْوا أن ألوم وتَكْرُمَـا[3]

والأصل : أن ألؤم ، فالهمزة تقابل الواو من (فعولن) وهى ساكنة فخففت الهمزة بإبدالها واوًا ساكنة بعد نقل حركتها إلى اللام، فصارت (أَلُومَ)، وذلك لضرورة الشعر .

ومن الإبدال فى غير مكانه أنه يقال على مذهب الكوفيين فى (مَلأك): (ملاك)[4]، أما القياس عند البصريين فى تخفيفه فهو (ملك) لا غير . وهو الصحيح لوروده فى القرآن الكريم .

(٣) **إبدال على غير وجهه** : ذكرنا أن الهمزة الساكنة إذا سهلت ، أبدلت حرفًا من جنس حركة ما قبلها ، فيقال فى (بِئْر) و(رَأْس) و(لُؤْم) : بير ، راس ، لوم ، ولكن هناك ألفاظًا خرجت على هذا القياس فسمع فيها الإبدال على غير هذا الوجه ، فقد جاء فى الارتشاف : «وروى أبو زيد والكوفيون أن من العرب من يبدل الهمزة على حسب إبدالها فى الفعل، يقول فى (رَفْءٍ) مصدر (رَفَأَ) : رَفْوًا ، لأنه يقول رَفَوْتُ . وفى (خَبْءٍ) مصدر (خَبَأَ) : خَبْيًا ، لأنه يقول : خَبَيْتُ . وهذا عند سيبويه وسائر البصريين ردىء لا يطرد»[5]، ويبدو أن الألفاظ التى ورد فيها الإبدال على هذا النحو قليلة ، ويوقف فيها عند حد المسموع عن العرب ، فإذا حكى لنا صاحب تاج العروس[6]: أن الحسن قال تَوَضَّيْت ، فقيل له : أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال هذه لغة هذيل ، وفيهم نشأت

---

(١) سيبويه ج٣/٥٤٥.

(٢) شرح التسهيل للمرادى ورقة ٣٦١ من المخطوط بدار الكتب تحت رقم (١٢٦٢ نحو).

(٣) عبث الوليد ص٢٠٩.

(٤) صحيفة دار العلوم العدد الثالث يناير ١٩٣٥م ، ص٣٩.

(٥) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج١ ص٦٤ ، وقال ابن الجزرى فى النشر ١/٤٤٥: وذهب جماعة من النحاة إلى جواز إبدال الهمزة المتطرفة فى الوقف من جنس حركتها فى الوصل سواء كانت بعد متحرك أو بعد ساكنٍ وحكوا ذلك سماعًا عن غير الحجازيين من العرب كتميم وقيس وهذيل وغيرهم فيقال: هذا الخبو ، ورأيت الخبا ومررت بالخبى.

(٦) انظر : تاج العروس ج١ ص١٣٤.

. . . عرفنا أن تلك اللهجة خاصة بهذيل ، وهى تخالف التسهيل القياسى فى هذا الفعل الذى هو (توضات) بإبدال الهمزة ألفًا لا ياء . وإذا حكى لنا ابن القطاع فى (بدأت بالشىء) قوله : (وَبَدْيت بالشىء ، وبَدِيتُ به : قدمته ، وهى لغة للأنصار . . .»[1] عرفنا أن هذه لهجة خاصة بالأنصار ، وهى تخالف التسهيل القياسى فى هذا الفعل الذى هو (بدات) بالألف لا بالياء .

ومع أن الإبدال على هذا النحو ورد فى ألفاظ معدودة ، وفى لهجات خاصة ، فقد « جعل أبو زيد ذلك قياسًا ، وكذلك الكوفيون»[2] ويظهر أن المبرد كان يقصدهم بعبارته : « واعلم أن قومًا من النحويين يرون بدل الهمزة من غير علَّة جائزًا ، فيجيزون (قَرَيْتُ) و(اجَتَزيْتُ) فى معنى (قرأت) و(اجتزأتُ) ، وهذا القول لا وجه له عند أحد ممن تصح معرفته ، ولا رسم له عند العرب»[3] وأعتقد أن المبرد ـ فى هذا النص ـ يريد نفى القياس عن هذا اللون من الإبدال ، ويريد أنه غير شائع عند جمهور العرب المخففين ، وأن ما جاء منه إنما هو لهجات خاصة ، ونحن نؤيده إذا كان هذا مقصوده ، وإلا فإنه قد ورد فى مثل هذه اللهجات التى حكيناها وفى غيرها وسوف نعود إلى الحديث عن ذلك الإبدال عندما نعرض للقراءات إن شاء الله تعالى .

(٤) **إبدال فى غير مكانه وعلى غير وجهه** : الهمزة المتحركة إذا سكن ما قبلها ، وأريد تخفيفها ، نقلت حركتها إلى الساكن قبلها ، وحذفت على مقتضى القياس ، فيقال فى تخفيف لفظتى : (الأحمر ، والأرض) : أَلَحْمَر وأَلَرْض ، أو : لَحْمَر ولَرْض ، وسنعرض لتفصيل هذه المسألة قريبًا ، والذى نقصده ـ هنا ـ أن هاتين اللفظتين قد ورد فيهما التسهيل على وجه آخر ، فقد سهلتا بالإبدال فى مكان الحذف ، وبالقلب إلى حرف صحيح وهو اللام ، والوجه أن الهمزة تبدل إلى حرف مد أو لين لا إلى حرف صحيح ، قال ابن يعيش :

---

(١) كتاب الأفعال لابن القطاع ص ٩٩. ط: أولى حيدر أباد ١٣٦٠هـ

(٢) من مباحث الهمزة فى العربية ص٤٣.

(٣) المقتضب للمبرد ج١ ص١٦٥.

«وحكى الكسائى والفراء أن من العرب من يقلب الهمزة لا ما فى مثل هذا ، فيقول : اللَّحمر فى (الأحمر) واللَّرض فى (الأرض) ، وكأن أهل هذه اللغة تنكبوا عن تحريك هذه اللام ، فقلبوا الهمزة من جنس اللام كما قالوا : فى لوْ : لَوًّا ؛ إذا جعلوها اسمًا ، فيزيدون واوًا من جنس الواو[1].

وهذا اللون من الإبدال - وإن نسب إلى العرب - لا يرقى إلى درجة القياس ، ولا يعدو أن يكون من اللهجات الخاصة ببعض القبائل العربية التى تميل إلى التخلص من الهمزة ، لذا لا يصح القياس عليه ، ويوقف عند حد المسموع منه ، ويلاحظ أن إبدال الهمزة إلى الحرف الصحيح ، قد يكون إلى غير اللام ، وفى غير الموضع الذى بعد لام التعريف ، وهذا نص ما علق به الأب «أنستاس الكرملى» على لفظة «نَسْطَاس» المعربة عن اليونانية «أَسْطَاس» ، قال : «أى أن الهمزة جعلت نونًا على لغة بعضهم ، لغة أولئك الذين يقلبون الهمزة نونًا أو بالعكس ، وذلك فى أى موقع وقعت فى الصدر أم القلب أم العجز ، فقد قالوا : أَبَّهه ونَبَّهه ، والزِّئجيل والزِّنْجِيل والظِّرْبَاء والظِّرْبَان إلى غيرها[2].....

(٥) **إبدال لا تجيزه العربية** : تقول العامة : تايب وبايع وقايل وصايم ونحو ذلك ، فيبدلون من الهمزة فى اسم الفاعل من الأجوف ياء ، سواء أكانت عينه واوًا أم ياء ، وقد يرد عنهم الوجهان الواو والياء فى اسم الفاعل من الواوى ، يقولون : عاوز وعايز من : عاز يعوز[3].

وهذا اللون من الإبدال لم يجوزه أحد من النحويين ، ولو على سبيل الشذوذ ، بل عدوه من قبيل الخطأ واللحن ، قال الأشمونى : «يكتب نحو قائل ، وبائع بالياء على حكم التخفيف ، لأن قياس الهمزة فى ذلك أن تسهل بين الهمزة والياء ، فلذلك كتبت ياء ، وأما إبدال الهمزة فى ذلك ياء محضة ، فنصوا على أنه لحن ، وكذلك تصحيح الياء فى بائع ، ولو جاز تصحيح الياء فى (بائع) لجاز تصحيح

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج٩ ص١١٦.

(٢) نشوء العربية ونموها واكتهالها ص٤٧.

(٣) من مباحث الهمزة فى العربية ص٤٥.

الواو فى (قائل) ، ومن ثم امتنع نقط الياء من قائل وبائع ، قال المطرزى : نقط الياء من قائل وبائع عامى»[1].

أما موقف القراء من هذا الإبدال ، فيكاد يتفق مع موقف النحويين السابق ، وقد عرض لذلك أبو عمرو الدانى حيث أورد عن ابن كثير الرواية الآتية : « حدثنا الفارسى قال : حدثنا أبو طاهر قال : حدثنا الخزاعى عن أصحابه الثلاثة ، عن ابن كثير أنه لم يهمز فاعلاً ولا فاعلين ولا فاعلات من ذوات الواو والياء ، نحو قوله : خائفين والقائمين والصائمين ، وخائف وقائم وضائق والصائمات وما أشبه»[2]، وقد عقب على هذه الرواية بعد أسطر فقال : ولا أعلم أحدًا من أهل الأداء أخذ فى مذهبه بما حكاه الخزاعى إلا الزينى وحده ، فإنه كان يأخذ به ويحكيه من قراءته عليه ، وكان اختياره الهمز[3] . وربما كان أبو عمرو يقصد من التنبيه على انفراد الزينى بحكاية هذا الإبدال وقراءته به وحده التنبيه على أنه وجه ضعيف جدًّا ، وقد صرح ابن الجزرى بضعفه بل بفساده ، فقال : « فأما إبدال الهمزة ياء فى مثل خائفين وجائر وأولئك ، وإبدالها واوًا فى نحو : أبناؤكم ، وأحباؤه ، فإنى تتبعته من كتب القراءات ونصوص الأئمة ومن يعتبر قولهم ، فلم أر أحدًا ذكره ، ولا نص عليه ولا صرح به ولا أفهمه كلامه ولا دلت عليه إشارة ، سوى أبى بكر بن مهران ، فإنه ذكر فى كتابه فى وقف حمزة وجهان فى نحو : (تائبات) بإبدال الهمزة إلى الياء وفى نحو :(رءوف) بإبدال الهمزة إلى الواو ، ورأيت أبا على الأهوازى فى كتابه الإيضاح ، حكى هذا عن شيخه أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى وقال : ولم أر أحدًا ذكره ولا حكاه من جميع من لقيتُ غَيْرَهُ . قلت : « أى قال ابن الجزرى» : ثم إنى راجعت كتاب الطبرى وهو الاستبصار فلم أره حكى فى جميع ذلك سوى بين بين لا غير . والقصد أن إبدال الهمزة إلى الياء والواو محضتين فى ذلك هو مما لم تجزه العربية ، بل نص أئمتها على أنه من اللحن

---

(١) شرح الأشمونى ج٤ ص٢٨٨.

(٢) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة ١١١- وانظر المطبوع منه جـ١ صـ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٣) المرجع السابق نفس الموضع .

الذى لم يأت فى لغة العرب ، وإن تكلمت به النبط ، وإنما الجائز من ذلك هو بين بين لا غير »[1].

ومع ذلك كله وجدنا من المُحْدَثِين من يجوِّز هذا الإبدال ، قال الشيخ نصر الهورينى : « وأما ما يجوز إبداله ياء محضة ، فيجوز نقطه مثل مائة وفئة ورئة والأئمة ، نعم إذا كان قبلها ألف مسبوقة بالهمزة نحو : آيل ، وآيس ، وآيب ، تبدل ياء حقيقة بمقتضى القياس الصرفى ، نظيره ما قالوه فى جمع (ذؤابة) على (ذوائب) حيث لم يجمعوه على أصله (ذآئب) ، وقد ورد من حديث الصحيحين قوله ﷺ : (آيبون تائبون عابدون) ولم يروه أحد بالهمز »[2] وقد عقب الشيخ محمد على النجار على هذا النص بما يمكن إيجازه فى الآتى : -

(١) إن الياء لما صحت فى الفعل (أيس) صحت فى اسم الفاعل (آيس) مثل : عور ، وصيد ، اللذين يقال فيهما : عاور ، وصايد .

(٢) قوله : إن الهمزة فى آئب تبدل ياء حقيقة بمقتضى القياس الصرفى . . تنفيه النصوص المتقدمة عن النشر والأشمونى .

(٣) هناك فارق كبير بين آئب وذوائب التى أصلها ذآئب ، لأن الهمزة المبدلة فى اللفظة الأولى هى الثانية ، وفى اللفظة الأخيرة هى الأولى ، وهى مبدلة فى الجمع ذوائب لمشاكلة المفردة ذوابة بالتخفيف ، وذلك على غير قياس ، فلا محل للتنظير .

(٤) قوله : « إن الرواية جاءت فى الحديث بالياء فى (آيبون) لم يصرح به أحد من العلماء . قال الشيخ النجار : « وقد رجعت إلى شرح ابن حجر والعينى على البخارى فوجدت فى شرح العينى المطبوع فى القسطنطينية (آئبون) هكذا بالهمزة ، وفى شرح ابن حجر (آيبون) بالياء ، ورأيته هكذا فى شرح النووى لمسلم ، وكأن ما فى ابن حجر وغيره من رسم آيبون بالياء هو الذى دعا صاحب المطالع إلى أن يرى أن رواية الحديث بالياء بناء على أن صورة الياء

---

(١) النشر فى القراءات العشر ج١ ص٤٥٤.

(٢) المطالع النصرية ص٧١ ط: بولاق ، وانظر ص٦ من لغويات الشيخ النجار.

لا تنقط إلا إذا كانت تقرأ ياء ، فإذا كانت لا تنطق ياء فمن الخطأ نقطها[1] .

وقد تبع الشيخ حسين والى فى كتابه «الإملاء» طريقة الشيخ نصر الهورينى ، فقال ـ فى ص ٢٢٦ ـ : فى مبحث الياء الواجب إهمالها :« الثانى الياء المتوسطة فى نحو : بائع ومسائل ما لم يكن قبل الياء رسمًا همزة ، فإن كانت فقد صح النطق حينئذ بالياء صريحة نحو آيل ، وآيب ، وذلك داع للنقط» . وقد عقب الشيخ النجار مرة أخرى على رأى صاحبى المطالع والإملاء بقوله : « فقد علمت أنه لم تقم الدلائل البينة على أن النطق قد صح بالياء فى آئب ، ولا سند لمن ذهب هذا المذهب ـ فيما أظن ـ إلا نقط الياء ، وقد علمت ما فى هذا الدليل من ضعف»[2].

ثم ختم حديثه قائلاً : وكأنى بالقارئ وقد خرج من هذا المقال بالتنبيه على أنه يلتزم همز آئب وآئل وما انخرط فى سلكهما ، ولا يميل إلى هذا التخفيف الذى درج عليه الناس ولا يجيزه سماع صحيح ولا قياس[3].

وإذن هذا الإبدال غير وارد ولا جائز فى اللغة الفصحى المشتركة ، ولا يمكن أن نتخذ من نقط الياء فى بعض الألفاظ دليلاً على قياسيته أو حتى على وروده فى الفصحى ، لأن النقط يقع فيه التصحيف كثيراً ، وربما كان وجود ذلك الإبدال فى اللغة العامية التى يتكلم بها العرب الآن ، وانفراد بعض القراء به كالزينى فى رواية أبى عمرو الدانى ، وأبى بكر بن مهران فى رواية ابن الجزرى ـ ربما كان ذلك دليلاً على وجوده فى إحدى اللهجات العربية القديمة غير المشهورة ، وعلى ذلك يكون تطور همزة بين بين إلى الياء الصريحة فى اسم الفاعل من خصائص بعض اللهجات العربية القديمة ، وإلا فهو تطور حديث فى لهجاتنا العامية ، والاحتمال الأول أرجح؛ لأنه يباعد بيننا وبين الطعن فى رواية بعض القراء ويجعل للتطور فى اللهجات العامية أساسًا من اللهجات العربية القديمة .

---

(١) انظر : لغويات الشيخ النجار ص٦ ، ٧.

(٢) المرجع السابق ص٩.

(٣) السابق نفسه.

ثالثًا : التسهيل بالحذف :

قلنا إن هذا النوع من أنواع التسهيل يأتى فى المرتبة الثالثة بعد تسهيل الهمزة بين بين ، وبعد تخفيفها بالإبدال ، فهو أبلغ مراحل التخفيف ، وأقصى درجاته ، ولابد فى هذا اللون من التسهيل أن يكون ما قبل الهمزة ساكنًا يقبل الحركة ، حتى يمكنه أن يتحمل الحركة المنقولة إليه من الهمزة المحذوفة . والتسهيل بالحذف نوعان : -

أولهما : الحذف القياسى ويكون فى موضعين[1] :

(١) أن تقع الهمزة بعد حرف صحيح ساكن ، نحو : يسأل ويجأر والمسألة والخبء والكمأة والمرأة والأحمر وغيرها . فإذا أردت تخفيف الهمزة فى هذه الكلمات ألقيت حركتها على الساكن قبلها وحذفتها ، فتصير بعد التخفيف أو التسهيل : يسل ويجر والمسلة والخب والكمة والمرة وألحمر أو لحمر . ولا يجوز هنا التسهيل بين بين أو الإبدال ؛ لأن الحرف الصحيح ساكن ، وهمزة بين بين فى حكم الساكن ، وحرف اللين المبدل ساكن ، فالعدول عن الحذف إليهما يؤدى إلى التقاء الساكنين أو شبه الساكن مع الساكن ، وذلك ممنوع ، ومن هنا لم يجز فى هذا الموضع إلا التخفيف بالحذف ، وما خالف ذلك يكون خارجًا على القياس .

(٢) أن تقع الهمزة بعد واو أو ياء غير مزيدتين لمحض المد والإشباع ، ويشمل هذا الموضع الصور الآتية :

أ - الهمزة الواقعة بعد الواو والياء الأصليتين نحو : سوأة ، وهيأة ، ويدعو أباه ، ويرضى أمه ، تقول فى تخفيفها : سوة ، وهية ، ويدعوَ باه ، ويرضىُ مَّه ، بحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى الواو والياء .

ب - الهمزة الواقعة بعد الواو والياء المزيدتين لمعنى الإلحاق ، نحو : جيأل وتوأم الملحقين بجعفر ، تقول فيهما : ـ بعد النقل والحذف ـ : جيَل وتوَم .

---

(١) لخصناها من كتاب سيبويه ج٣ ص٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨. ومن شرح المفصل ج٩ ص١٠٩ ، ١١٠. ومن شرح الرضى للشافية ج٣ ص٣٣ ، ٣٤.

جـ- الهمزة الواقعة بعد الواو والياء المزيدتين لغير معنى الإلحاق كالدلالة على الإعراب مثلاً ، نحو : أبو أيوب ، وأبو إسحاق وأبى إسحاق فيقال فى تخفيفهما : أبوَ يُوب ، وأبوِسْحاق ، وأبيِ سْحاق .

أو كالدلالة على المؤنثة وجمع الذكور فى الأفعال ، نحو : اتبعى أمرهم ، واتبعوا أمرهم ، إذْ يقال فى تخفيفهما : اتبعىَ مْرهم واتبعوَ مْرَهم . أو كالدلالة على معنى الجمع والتثنية فى الأسماء ، نحو قاضوأبيك ، ومكرمى أبيك ، ونحو : خليلَىْ أبيك ، فتصير بعد التخفيف : قاضوَبِيْكَ ، ومكْرِمىَ بِيك ، وخليلىَ بِيك .

ولا تستثقل الضمة والكسرة على الياء والواو ، لأنهما حركتان عارضتان ولما كانت الحركة المنقولة عارضة وجدنا أنه لا ينقلب لها الحرف إذا تحرك بها وانفتح ما قبله ، فلا يقال : ـ مثلاً ـ فى : جَيَلْ (مخفف جيأل) ، وفى تَوَمْ (مخفف توأم) : جال وتام ، كما يقال فى قول وبيع : قال وباع .

الحركة المنقولة وشبهها : -

رغم أن العلماء اتفقوا على أن الحركة المنقولة حركة عارضة ، ولا تستثقل على الواو وإن كانت كسرة ، ولا على الياء وإن كانت ضمة ، ولا ينقلب لها الحرف إذا تحرك بها وانفتح ما قبله ـ رغم كل ذلك اختلفوا فيها ، هل يعتد بها فتحذف لها همزة الوصل ، أو لا يعتد بها ولا تحذف لها همزة الوصل؟؟ . سنكتفى بإيجاز هذا الخلاف فى المسائل الآتية[1] : -

أ - مسألة الأحمر : ويقصد بها كل همزة قطع دخلت عليها (أل) مثل الأحْمَر والأبيض والأحسن والأخدود . . . ونحوها ، فإذا خففت همزة القطع فى هذه الألفاظ حذفت بعد نقل حركتها إلى اللام قبلها ، وذلك التخفيف هو القياس فيها ولا خلاف فيه ، وإنما الخلاف فى همزة الوصل هل تبقى فيقال : ألحمر ، أو لا تبقى فيقال : لحمر؟؟ .

---

(١) من أراد الوقوف على تفصيل الخلاف فيها ، فليرجع إلى رسالة الدكتوراه للدكتور عبدالعظيم الشناوى ، الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب من ص٢٩٠ إلى ص٢٩٥ ، وإلى كتاب من مباحث الهمزة فى العربية من ص ٢٦: ٣١.

وهذا الخلاف فى بقائها أو عدم بقائها مبنى على الاعتداد بالحركة المنقولة العارضة وعدم الاعتداد بها ، فمن اعتد بها يقول : لَحْمَر ، ويستغنى عن همزة الوصل ، لأنها إنما تدخل على الساكن لا على المتحرك . ومن لم يعتد بها؛ لكونها عارضة ، يقول : أَلَحْمَر ـ بإبقاء همزة الوصل ـ وكأن اللام ما زالت ساكنة كما كانت قبل التخفيف ، وهذا الوجه أكثر من الأول .

وتظهر ثمرة الخلاف ـ أيضًا ـ فى الاعتداد وعدمه ، فى إبقاء ما حذف لالتقاء الساكنين على حذفه أو رده ، فمن لم يعتد بالحركة العارضة يقول فى حالة التخفيف : (فِلَرض) ، و(مِنَ لان) دون أن يرد ياء حرف الجر (فى) وسكون (مِنْ) الجارة المحذفين من أجل التخلص من التقاء الساكنين قبل التخفيف ، ومن يعتد بالحركة العارضة يقول فيهما : (فى لَرض) و(مِنْ لان) يرد الياء وسكون مِنْ ، لزوال علة حذفهما وهى التخلص من التقاء الساكنين ، وعلى الوجه الأخير جاء قول الشاعر :

فقد كنت تخفى حب سمراء حقبة فبحْ لان منها بالذى أنت بائح[1]

قال ابن جنى : فأَسْكَنَ الحاء التى كانت متحركة لالتقاء الساكنين فى (بحْ الآن) لما تحركت اللام للتخفيف ، (أى : لام الآن) وعليه قراءة من قرأ : ﴿ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾(البقرة:٧١)- فأثبت واو قالوا لما تحركت لام لان ، والقراءة القوية : (قالُلانَ) بإقرار الواو على حذفها؛ لأن الحركة عارضة للتخفيف[2].

هذا ، وقد ذكر الجعبرى فى حواشى الجاربردى ، أن عدم الاعتداد بحركة اللام العارضة فى إبقاء همزة الوصل بناء على أن أداة التعريف اللام ، هو رأى سيبويه . فأما على رأى الخليل ـ وهو أن الأداة (أل) وأن الهمزة همزة قطع بدليل فتحها ـ

---

(١) البيت من الطويل ، قاله عنترة العبسى ، وهو فى ديوانه ٢٩٨ ، والخصائص ٣/٩٠ ، ورسالة الملائكة ٩٤ ، ولسان العرب (أى ن) والأشباه والنظائر ١/٥٦ ، والمقاصد النحوية ١/٤٧٨ ، وتذكرة النحاة ٣١ ، وشرح الأشمونى ١/٨١، وشرح التصريح ١/١٤٧، والمعجم المفصل ٢/٧١.

(٢) انظر : الخصائص ج٣ ص٩٠ ، ٩١.

فإنها تبقى سواء أهمل العارض أم أعتد به . وذهب إلى ذلك ـ أيضًا ـ ابن الجزرى فى النشر[1]، وإذا كان الوجهان واردين فى العربية ، فلا يسع الخليل إنكار حذف الهمزة ابتداء ، فإما أن يبطل مذهبه فى أداة التعريف ، وإما أن يجعل لهمزة القطع حكم همزة الوصل فى كل شىء ، فسواء قلنا أداة التعريف (أل) أو اللام ، فالوجهان جاريان[2].

ب - مسألة الاستغفار والانطلاق ، ويقصد بها كل همزة وصل دخلت عليها (أل) ومعلوم أن همزة الوصل تسقط فى الدرج فيلتقى ساكنان اللام وما يلى همزة الوصل المحذوفة ، وللتخلص من الساكنين حركوا اللام بالكسر على الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين . فقالوا : أَلِسْتِغْفار ، بإبقاء همزة أل ، بناء على أن حركة التخلص من الساكنين عارضة ، فلا يعتد بها ، ومنهم من يقول : لِسْتِغْفار بحذف همزة أل بناء على أن حركة التخلص من الساكنين واجبة ويعتد بها . وإلى القول الأول ذهب ابن يعيش[3] ، وأما الجاربردى فقد ذهب إلى الوجهين كباب الأحمر ، فقال :« والأظهر أن باب الاقتدار والاستغفار كذلك فى جواز ألستغفار ولستغفار ، وكتب فى حواشيه . . . : ويقابل الأظهر فى هذا الباب وجوب الحذف ، لأن حركة اللام لموجب ، وهو التقاء الساكنين بخلافهما فى باب الأحمر فإنها لمجرد التخفيف »[4].

ففى المسألة ـ إذن ـ ثلاثة أقوال :

(١) قول بوجوب حذف الهمزة فى الابتداء ، بناء على أن حركة اللام واجبة فأشبهت الحركة الأصلية . . . ولو صح هذا لأعيد الساكن ـ الذى هو عين

---

(١) النشر فى القراءات العشر ٤١٥/١ دار الكتب العلمية بيروت ، وانظر : الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب ص٢٩٢ ، وانظر : من مباحث الهمزة فى العربية ص٢٨ نقلاً عن حواشى الجاربردى ص٢٥٨.

(٢) انظر نفس الموضع من المرجعين السابقين .

(٣) شرح المفصل ج٩ ص١١٥.

(٤) انظر: الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب ص٢٩٣ ، ومن مباحث الهمزة فى العربية ص٢٩ نقلاً عن حواشى الجاربردى ص٢٥٩.

الفعل المحذوفة ـ فى نحو : لم يقم الرجل ، لأن الميم محركة بحركة واجبة وليست عارضة ، فلا وجه لوجوب حذف العين من الفعل المذكور .

(٢) وقول بوجوب إثبات الهمزة فى الابتداء ، لأن حركة التخلص من الساكنين عارضة .

(٣) وقول بجواز الأمرين مع ترجيح إثباتها قياسًا على مسألة (الأحمر) ، وهذا الوجه ليس بقوى ؛ لأن حركة التخفيف لها أصل فى الهمزة المفتوحة ، فمن الجائز أن يعتد بها ، أما حركة التخلص من الساكنين فلا أصل لها ، فلا ينبغى أن يعتد بها ، فالمختار ـ إذن ـ هو الرأى الثانى[١] .

(جـ) فعل الأمر من (سأل) إذا خفف فالمشهور أنه (سَلْ) بإسقاط همزة الوصل التزامًا ، فلا يقال (إسَلْ) إلا عند الأخفش ، وذلك مبنى عند الجمهور على الاعتداد بالحركة المنقولة دائمًا ؛ لأن السين لها أصل فى الحركة كما في سأل ؛ ولأن الحرفين ـ المنقول منه والمنقول إليه ـ من كلمة واحدة بخلاف الأحمر ، فإن اللام أصلها السكون ، وهى من كلمة والهمزة من كلمة أخرى ، فجاز ألا يعتد فيها بالحركة المنقولة . أما الأخفش فيظهر أنه لم يفرق بين المسألتين[٢]، وكذلك فعل ابن يعيش حيث قال : « ويلزم من قال ألَحمر فيثبت الهمزة أن يقول فى اسأل إذا خفف إسَلْ ، ومن قال : لَحْمر يلزمه أن يقول : سَلْ ، إلا أن الأكثر مع لام المعرفة إبقاء ألف الوصل ، وحذفها فى غير ذلك؛ لأن هذه اللام التى للمعرفة موضوعة على السكون لا تعتورها الحركة إلا بسبب عارض ، فالسكون فيها أقوى[٣]. ومن البديهى أن رأى الجمهور هو الأرجح لوضوحه ، ولأنه الذى عليه الاستعمال .

---

(١) بتلخيص من ص ٢٩٣: الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب.

(٢) انظر: شرح الرضى ج٣ ص٤٢ ، ٤٣ ، الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب ص٢٩٤ ، من مباحث الهمزة ص٣٠ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١١٥/٩.

(ثانيهما) الحذف غير القياسى :

وهو يشمل كل ما خرج عن ضابط الحذف القياسى ، ويمكن تصنيفه إلى عدة أنواع :

(١) الحذف فى غير مكانه :

قد يأتى الحذف فى مكان الإبدال كما فى أفعال الأمر : خُذْ ، كُلْ ، مُرْ وأصلها : اؤخذ ، اؤكل ، اؤمر بهمزتين الأولى مضمومة والثانية ساكنة ولو خففت على القياس لأبدلت الهمزة الثانية الساكنة واوًا ، ولكنهم ـ كما قال ابن يعيش ـ : حذفوا الهمزة التى هى فاء تخفيفا ، لاجتماع الهمزتين فيما يكثر استعماله ، فحينئذ استغنى عن همزة الوصل لزوال الساكن ، وتحرك ما يبتدأ به وهو الخاء فى (خذ) والكاف فى (كل) والميم فى (مر) فحذفوها . ووزنه من الفعل (عُلْ) محذوف الفاء، ولزم هذا الحذف لكثرة استعمال هذه الكلم ، ولذلك جعله صاحب الكتاب غير قياسى ، ثم ألزموه فى اثنين دون الثالث ، يعنى فى خذ وكل دون مر ، فإنك تقول فيه : مر ، وأمر . قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ ﴾(طه:١٣٢) جاء فيه الأمران ، إلا أن الحذف أكثر؛ كأنه لنقصه عن مرتبة خذ ، وكل ، فى كثرة الاستعمال ، فاعرفه[١].

وقد يأتى الحذف فى مكان التسهيل بين بين ، كما فى الهمزة المتطرفة بعد الألف ، ففى «لغة ضعيفة تحذف الهمزة المتطرفة بعد الألف عند إرادة تخفيفها ، فيقال فى : يشاء وجاء : يشا وجا»[٢].

ومعلوم مما سبق أن القياس فى مثل هذه الهمزة أن تسهل بين بين . وقد يكون من ذلك ما حكاه الرضى عن السيرافى بقوله : «قال السيرافى : وما جاء من الشاذ نقل بعضهم حركة الهمزة المنفصلة إلى آخر الكلمة المتحركة بحركة بنائية نحو : قالِ سْحاق ، وقالُ سامة ، وإن كانت الحركة إعرابية لم ينقل ، فلا نقول : يقولِ

---

(١) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ج٩ ص١١٥.

(٢) انظر: صحيفة دار العلوم ص٣٦ العدد الثالث يناير ١٩٣٥.

سْحاق ، ولن يقولُ سامة ؛ احترامًا لحركة الإعراب . قال : وبعضهم يحذف الهمزة من غير نقل الحركة إلى آخر الكلمة ، فيقول : قالَ سْحاق ، وقالَ سامة ، والأول أجود»[1].

وهذا الحذف أو ذاك على غير قياس ، لأن الهمزة فى المثال الأول مكسورة بعد فتح ، وفى المثال الثانى مضمومة بعد فتح ، وقياسها فى الموضعين أن تسهل بين بين لا أن تحذف .

ومن هذا اللون ـ أيضًا ـ قولهم فى (أرأيت) : أَرَيْتَ ـ بحذف عينه ، وهى همزة مفتوحة مفتوح ما قبلها ، فكان قياسها بين بين ، لكنهم عدلوا عن القياس إلى الحذف ، وقد سمع ذلك فى الشعر ، ومنه بيت أبى الأسود :

أَرَيْتَ امرأً كنتُ لم أبله أتانى فقال اتخذنى خليلاً[2]

ومنه بيت إسماعيل بن يسار مولى بنى تيم بن مرة تيم قريش :

صاح هل رَيْت أو سمعت براع ردَّ فى الضَّرع ما قرى فى العلاب[3]

---

(١) انظر: شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٣٧.

(٢) البيت من بحر المتقارب ، قائله أبو الأسود الدؤلى ، وهو فى ديوانه ٢٠٣ والأغانى ١٠٧/١١ ، وشرح الشافية ٣٧/٣ ، والخزانة ٤٥٤/٤ - ٤٥٦ ، وهامش الكتاب ١٦٩/١ ، وهامش مجالس ثعلب ١٢٣/١ - وفيه يتحدث أبو الأسود عن امرأته التى أسرعت فى ماله ، وأفشت سِرّه ، فجمع أهلها ، وأنشد البيت ، وبعده:

فخاللته ثم أكرمته فلم أستفد من لديه فتيلا

وألفيته حين جربته كذوب الحديث سروقا بخيلا

والبيت شاهد على حذف الهمزة التى هى عين الفعل من (أرأيت) على غير القياس ، وعلى ذلك وردت قراءة الكسائى ﴿ أَرَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ . (الماعون:١) .

(٣) البيت من بحر الخفيف ، قائله إسماعيل بن يسار مولى بنى تيم بن مرة (تيم قريش) من أبيات أولها:

ما على رسم منزلٍ بالجناب لو أبان الغداةَ رجعَ الجوابِ

وهو فى لسان العرب ٩٥٧/٢ ، وفى الجمهرة ٢٢٩/١ قال ابن دريد :
ويروى للحارث بن مضاضٍ الجرهمى ، وفى الهامش: عزوه لإسماعيل بن بشار ، ومعنى قرى : جمع. والعلابِ: جمع عُلبة بضم العين وسكون اللام ، وهى وعاء من جلد أو من خشب ، ويجمع على عُلَب ـ والشاهد فيه كالبيت الذى قبله. انظر ٣٨/٣ شرح الرضى على شافية ابن الحاجب .

(٢) الحذف على غير وجهه :

ويندرج تحته ما حكاه سيبويه عن بعض العرب فى الفعلين المضارعين المرفوعين « هو يَجيكَ وَيَسُوكَ بحذف الهمزة ، ويكره الضم مع الواو والياء»[١] أى أن الحذف تم بدون نقل حركة الهمزة إلى الياء والواو الساكنين قبلها ، وذلك مخالف لطريقة الحذف القياسى ، ولو جرت العرب على القياس لقالت : هو يَجِيكَ بضم الياء ، وهو يَسُوكَ بضم الواو ، ومن هذا اللون أيضًا قولك : هو يَرْمِ خْوانَهَ بحذف الهمزة ولا تطرح الكسرة على الياء ولكن تحذف الياء لالتقاء الساكنين[٢].

(٣) الحذف لضرورة الشعر :

ويدخل فى ذلك كل همزة حذفت فى الشعر ، وكان بقاءها يؤدى إلى فساد الوزن ، ويمكن التمثيل لذلك بما ورد فى لسان العرب من قول الشاعر :

إذا قل مال المرء قل صديقه وأومت إليه بالعيوب الأصابع[٣]

فقوله : (وأومت) أصلها (وأومأت) لكن هذا البيت من بحر الطويل ، و(وأومت) وزنها فعولن ، فكان بقاء الهمزة يؤدى إلى إنكسار الوزن . ومن ذلك ـ أيضًا ـ قول الشاعر :

نحن اللذو بعكاظ طيروا شررا من روس قومك ضربا بالعقاقيل[٤]

فقوله (من روس) أصلها (من رءوس) لكن الشاعر اضطر إلى حذف الهمزة ليستقيم وزن البيت لأنه من بحر البسيط ، وأول تفعيلة من الشطر الثانى (من روسقو) بوزن مستفعلن ، فكانت زيادة الهمزة تفسدها .

---

(١) انظر : سيبويه ج٣ ص٥٥٦.

(٢) المرجع السابق نفس الموضع.

(٣) البيت من الطويل ، بلا نسبة فى اللسان (روى) ، (ومأ) ، وتاج العروس (ومأ) ، (ش و ر) ، والمعجم المفصل ٢٥٩/٤.

(٤) البيت من بحر البسيط ، وهو فى خزانة الأدب ٥٠٣/٢ ، اللهجات العربية فى التراث ٥٥٧ ويروى أوله (قومى اللذو) ، وآخره (بالمصاقيل) . وفي لسان العرب (ع ق ل) : وعقاقيل الكَرْم : ما غرس منه ا هـ .

ومن ذلك ـ أيضًا ـ قول الراجز[1] :

بصـــرية تزوجـــت بصـــريًا يطعمهـــا المـــالح والطريـــا
وجيـــد الـــبر لـــها مقليـــا حـــتى نتـــت ســـرقها نُتيّـــا

فقوله (نتت) أصلها : (نتأت) فحذف الهمزة للشعر ، وهو فى التوجيه مثل البيت السابق تمامًا .

(٤) الحذف بلا علة ولا ضابط :

قال الرضى : وربما حذفت الهمزة بلا علة ولا ضابط نحو (ناس) فى (أناس)[2] وقد جاء الأصل فى قول الشاعر :

وإنا أناس لا نـرى القتـل سـبة إذا ما رأتـه عـامر وسـلول[3]

ولا تكاد الهمزة تستعمل مع لام التعريف ، غير أن أبا عثمان أنشد :

إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنين[4]

هذا .. وباب الحذف غير القياسى باب واسع يدخل فيه كل ما خرج على القياس ، كما قلنا ، فيدخل فيه نحو قولهم فى : ما أحسن زيدا : مَحْسَنَ زيدًا .

---

(١) انظر : من مباحث الهمزة فى العربية ص٣٢، والأبيات من الرجز ، نسبت لعذافر فى إصلاح المنطق ٢٨٨ ، والأول والثانى فى المخصص ١٣٦/٩ ، والمحتسب ١٢٤/٢ ، واللسان (ملح)٤٢٥٥/٦.

(٢) انظر: شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٣٧.

(٣) البيت من الطويل ، قاله السموأل بن عاد ياء ، وهو فى ديوانه ٩١ ، والخصائص ٢٨٠/١ ، وشرح التبريزى للحماسة ١١١/١ ، والمخصص ٤١/١٧ ، واللسان والتاج (س ل ل) ، والمعجم المفصل ٣١٤/٦.

(٤) البيت من مجزوء الكامل ، وهو من مقطوعة لذى جدن الحميرى ، ينظر: الخصائص ١٥١/٣ ، المخصص ١٤٠/١٧، ١٤٥، الخزانة رقم ١٢٧- ٢٨٠/٢ ، ٢٨٨، والجنى الدانى ٢٠٠ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/٢ ، وشرح شواهد الشافية ٢٩٦ ، والأشباه والنظائر ٣١٢/١ ، وجواهر الأدب ٣١٣ ، ولسان العرب (أ ن س) ، والمعجم المفصل ٩٩/٨.

بحذف الهمزة والألف قبلها . ونحو قولهم ما شَدّ فى : ما أشد[1]. وقولهم : وَيْلُمِّه ، وأصلها : ويل لأمه[2]. إلى غير ذلك مما خرج على القياس ولا سبيل إلى حصره .

* * *

حكم الهمزتين المجتمعتين فى كلمتين :

قال أبو عمرو الدانى : اعلم أن التسهيل لإحدى الهمزتين فى الكلمة والكلمتين فى مذهب أهل التسهيل ، إنما يكون إذا تلاصقتا معًا ، ولفظ بالثانية بعد الأولى من غير حائل بينهما ، فإن حال حائل بينهما ، ألف أو واو ، أو تنوين أو غير ذلك من متحرك وساكن ، فالتسهيل للهمزة الثانية ممتنع ، وتحقيقهما إجماع لأجل ذلك الحائل[3].

ولتفصيل أحكام الهمزتين فى الكلمتين نقول : إذا اجتمعت الهمزتان فى كلمتين ، فالثانية منهما لا بد أن تكون متحركة ، لأنها واقعة فى أول الكلمة الثانية أما الهمزة الأولى فلها حالتان : الأولى أن تكون للاستفهام وهى متحركة دائمًا لأنها فى بدء الكلام ، وتدخل على همزة القطع والوصل ، ولها مع كل منهما أحكام . والثانية أن تكون الهمزة الأولى لغير الاستفهام ، وهى حينئذ إما متحركة وإما ساكنة ، ولكل منهما مع الهمزة التى تليها أحكام .

---

(١) انظر: شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٣٧ ـ ومن شواهده ـ مما يعد ضرورة شعرية ـ قول الشاعر :

ما شدّ أنفسهم وأعلمهم بمـا يحمى الذّمار به الكريم المسلمُ

(٢) انظر : الخصائص ج٣ ص١٥٠ - ويصلح شاهدًا على ذلك الرجز الذى ذكره المبرد فى الكامل (٢٦/١) على لسان رجل من الخوارج يصف خطيبًا منهم بالجبن والرعب ، وأن ذلك أذهله عن إجادة القول التى هى من طبعه فى الأحوال العادية - يقول :

نحنح زيد وسَعَلْ لما رأى وقع الأسَلْ

وَيْلُمِّه إذا ارتجلْ ثم أطال واحتفلْ

والشاهد (وَيْلُمِّه) بكسر اللام وضمها ، وهى كلمة تقال للداهى المجيد ، أصلها ويل لأمه ، فحذفوا الهمزة ، وركبوه وجعلوه كالشىء الواحد ، واستعملوه فى التعجب .

(٣) انظر : جامع البيان فى القراءات السبع ورقة ٩٥. وقارن مع المطبوع من جامع البيان جـ١صـ٣٤٢

الحالة الأولى :

أ - إذا دخلت همزة الاستفهام على همزة القطع ، ففيهما مذهبان :

الأول : مذهب أهل التحقيق وهو تحقيق الهمزتين دون فصل بينهما ، وتمثله قراءة حفص لقوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ (البقرة:٦) ، وقوله : ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة:١٤٠)، وبعض هؤلاء المحققين من العرب يفصل بين الهمزتين بألف ، كما جاء فى قول ذى الرمة :

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت أم أم سالم[1]

وكما جاء فى قول جامع بن عمرو بن مرخية الكلابى :

حزق إذا ما الناس أبدوا فكاهة تفكر آياه يعنون أم قردا[2]

قال أبو حيان : «وهو أحسن من الجمع بينهما بغير فصل»[3] .

الثانى : أهل التخفيف من الحجازيين يسهلون الهمزة الثانية بين بين ، لأنها متحركة بعد همزة مفتوحة ولا يفصلون بينهما ، وبعض هؤلاء العرب المسهلين يدخلون ألفًا بين الهمزة المحققة والمسهلة . قال سيبويه : «وأما أهل الحجاز فمنهم من يقول : آانك وآانت ، وهى التى يختار أبو عمرو ، وذلك لأنهم يخففون الهمزة كما يخفف بنو تميم فى اجتماع الهمزتين ، فكرهوا التقاء الهمزة والذى بين بين ، فأدخلوا الألف كما أدخلته بنو تميم فى التحقيق»[4] .

---

(١) البيت من الطويل ، وهو فى ديوان ذى الرمة ٦٢٢، والكتاب ٥٥١/٣، والمقتضب للمبرد ١٦٣/١ ، والكامل له ٦٤٢، والخصائص ٤٥٨/٢، وابن يعيش ٩٤/١ - ١٩٩/٩، وشرح شواهد الشافية ص٣٤٧ ، والهمع ١٧٢/١.

الوعساء : رملة لينة . جلاجل : موضع . النقا : الكثيب من الرمل .

(٢) البيت من الطويل ، وهو فى سر الصناعة ٧٢٣/٢، ورصف المبانى ٢٦، وشرح المفصل ١١٨/٩ ، ١١٩ ، وشرح شواهد الشافية ٣٤٩/٤، ٣٥٠، وهمع الهوامع ١٥٥/١ ، والأزهية ٤٠ ، والصحاح واللسان والتاج (ح ز ق) والحزقّ بوزن عتلّ: القصير من الرجال. الفكاهة: ما يتفكه به من الحديث - تفكر آياه يعنون..: اشتبه عليه الأمر - ويروى (القوم) مكان (الناس) و(تذكّر) مكان (تفكّر).

(٣) ارتشاف الضرب ج١ ص٢١٢.

(٤) سيبويه ج٣ ص٥٥١ ط : تراثنا.

ب- إذا دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل ، فالأخيرة إما مكسورة أو مضمومة أو مفتوحة . فإن كانت مكسورة أو مضمومة حذفت»[1] وبقيت همزة الاستفهام مفتوحة ، وعلى ذلك قرئ - باتفاق القراء - ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾ (البقرة:٨٠)، ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ (مريم:٧٨) ، ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (سبأ:٨) ، ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ (ص:٧٥) ، ﴿ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ (المنافقون:٦)[2]. وأما إذا وليت همزة الوصل وهى مفتوحة - وذلك فى أل ، وأيم ، وأيمن - همزة الاستفهام ، فقال ابن الباذش : الذى يوجبه قول سيبويه فى باب الهمزة أنها تخفف بين بين ، وذكر الفارسى أنها تبدل ألفًا ، وقرئ فى السبعة : (قل آلذكرين) بالإبدال والتسهيل ، وزعم أبو عمرو وابن عطية أن إثبات ألف الوصل فى ذلك خطأ ، وإنما هذه المدة ألف زائدة ليست بدلاً من همزة ، وإنما زيدت للفرق بين الاستفهام والخبر[3]. ويبدو أن هذا الزعم فى غير موضعه ، لأنه مخالف لما ثبت فى القراءات الصحيحة المتواترة من أن البدل والتسهيل وجهان صحيحان ومأخوذ بهما ، وذلك فى ست كلمات متفق عليها ﴿ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ (الأنعام:١٤٣،١٤٤)، ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ ﴾ (يونس:٥١،٩١)، ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ (يونس:٥٩)، ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ ﴾ (النمل:٥٩) . وواحدة مختلف فيها ﴿ آلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ﴾ (يونس:٨١)، فقد قرأها أبو عمرو وأبو جعفر بالإبدال ألفًا أو بالتسهيل بين بين ، وقرأها الجماعة بالإخبار[4].

الحالة الثانية :

إذا التقت الهمزتان فى كلمتين ، ولم تكن الأولى للاستفهام ، بل كانت إحداهما فى آخر الكلمة الأولى ، والأخرى فى ابتداء الكلمة الثانية ، فإما أن تتحركا ، وإما أن تسكن الأولى وتتحرك الثانية :

---

(١) شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٦٤.

(٢) انظر: نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص١٨٣ تأليف المرحوم الشيخ محمد مكى نصر.

(٣) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج١ ص١٤٦- وكتاب الإقناع ٢٢٣ ، ٢٢٤ ط ١٩٩٩م .

(٤) انظر : نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص١٨٣ ، ص١٨٤.

(١) فإذا تحركت الهمزتان وجب تخفيف إحداهما عند غير أهل الحجاز ، لأنه ليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فتُحقَّقَا[١]» لكنهم اختلفوا فى أى الهمزتين أحق بالتخفيف ، وفى كيفيته على النحو التالى :

أ - من العرب من يخفف الأولى ويحقق الهمزة الثانية . قال أبو حيان : «وهو اختيار أبى عمر وهو أقيس»[٢]؛ وإنما كانت الأولى عندهم أولى بالتخفيف لكونها آخر الكلمة ، والأواخر محل التغيير»[٣]، أما كيفية التخفيف فالظاهر أنه يجرى على قواعد تخفيف الهمزة المفردة من التسهيل بين بين أو الإبدال أو الحذف .

ب - ومنهم من يخفف الثانية دون الأولى ، لأن الاستثقال منها جاء ، كما فعلوا فى الهمزتين فى كلمة ، وهو قول الخليل[٤] ، وقد سمع ذلك سيبويه من العرب وأنشد :

كل غراء إذا ما برزت ترهب العين عليها والحَسَدْ[٥]

ثم قال : «سمعنا ممن يوثق به من العرب ينشده هكذا»[٦] بتخفيف الهمزة الثانية فى (غَرَّاء إذا)، أما كيفية تخفيفها فهى (كالهمزة المتحركة بعد متحرك)[٧].

جـ- وأما أهل الحجاز فيخففون الهمزتين معًا ، وكيفيته أن تخفف كل واحدة منهما على قياس تخفيفها إذا كانت مفردة ، مع ملاحظة أن التخفيف يكون فى الأولى أولاً ، ثم يكون فى الثانية ، فهم يقولون - مثلاً - فى (اقرأ آية) : (اقرا آيه) بإبدال الأولى ألفًا ، وتسهيل الثانية بين بين لكونها بعد ألف[٨] ، ويفعلون مثل ذلك فى المتحركتين .

---

(١) سيبويه ج٣ ص٥٤٩ .

(٢) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج١ ص٢١١.

(٣) شرح الرضى للشافية ج٣ ص٦٥.

(٤) الموضع السابق.

(٥) البيت من الرمل ، وهو فى الكتاب ٥٤٩/٣ ، ٥٥١ - وشرح المفصل ١١٨/٩ ، والحجة لأبى على الفارسى ٢١٣/١ ، والمعجم المفصل ١٦٥/٢.

(٦) سيبويه ج٣ ص٥٤٩ ط: تراثنا.

(٧) شرح الرضى ج٣ ص٦٥ أى تجعل بين بين لأنها مكسورة بعد فتحة.

(٨) سيبويه ج٣ ص٥٥٠ ط/ تراثنا.

د - إذا اتفقت الهمزتان فى الحركة ، بأن كانتا مفتوحتين أو مضمومتين أو مكسورتين ، فقد « نقل عن أبى عمرو حذف أولى المتفقين نحو :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ (الأحقاف:٣٢) و ﴿ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ (محمد:١٨) و ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن ﴾(الشعراء:١٨٧) ونقل عن ورش وقنبل فى ثانية المتفقين قلبها حرف مد صريحًا أى ألفًا إن انفتحت الأولى،وواوًا إن انضمت،وياء إن انكسرت[١].

هـ- قد اختار جماعة ، وهم قراء الكوفة وابن عامر التحقيق فيهما معًا ، كما فعلوا بالهمزتين فى كلمة ، وهو هنا أولى لافتراق الهمزتين تقديراً[٢].

قال أبو حيان :« قال أصحابنا : وقد سمع التحقيق فيهما وهو من الشذوذ والقلة بحيث لا يقاس عليه ، وقد قرأ بالتحقيق فيهما الكوفيون وابن عامر من السبعة وليس بشاذ»[٣]، وأبو حيان فى هذه العبارة جمع بين مذهبى النحويين والقراء فى تحقيق الهمزتين ، فهو شاذ لا يقاس عليه عند النحويين ، أما عند القراء فقد ورد فى القراءات الصحيحة غير الشاذة ، وربما كان يقصد أن القراء يقيسون عليه .

(٢) إذا سكنت الأولى وتحركت الثانية ، فقد ورد فيهما خمسة مذاهب[٤] :

أ - تحقيق الهمزتين وهو مذهب الكوفيين .

ب - تخفيف الهمزتين وهو مذهب الحجازيين .

جـ- تخفيف الأولى دون الثانية وهو مذهب لبعض العرب .

د - تخفيف الثانية دون الأولى وهو مذهب لبعض العرب .

هـ - إدغام الأولى فى الثانية ، وهذا المذهب حكاه أبو زيد عن بعض العرب .

---

(١) شرح الرضى للشافية ج٣ ص٦٥ ، ٦٦.
(٢) المرجع السابق ص٦٥.
(٣) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج١ ص٢١١.
(٤) شرح الرضى للشافية ج٣ ص٦٦ .

حكم الهمزتين المجتمعتين فى كلمة :

قال سيبويه : « واعلم أن الهمزتين إذا التقتا فى كلمة واحدة ، لم يكن بد من بدل الآخرة ولا تخفف ، لأنهما إذا كانتا فى حرف واحد ، لزم التقاء الهمزتين الحرف »[١] وقد فصل الرضى أحوال الهمزتين فى كلمة فقسمها إلى ثلاثة أقسام :

(١) قال: فإن تحركت الأولى فقط (أى وسكنت الثانية) دبرت الثانية بحركة الأولى، أى قلبت واوًا إن انضمت الأولى كأُوتمن ، وياء إن انكسرت كإيت ، وألفًا إن انفتحت كآمن ، وإنما قلبت الثانية لأن الثقل منها حصل[٢].

(٢) وقال : وإن سكنت الأولى وتحركت الثانية ، فإن كان ذلك فى صيغة موضوعة على التضعيف ، كسَئَّال وسُؤَّال وجب الإدغام محافظة على وضع الصيغة ، ولا يكون ذلك إلا إذا اتصلت الأولى بالفاء ، وذلك أن الهمزة ثقيلة ، ولا سيما ما ضُعِّفَ منها ، فإذا وَلِيَتْ الأولى أول الكلمة خفت ، وأما فى غير ذلك فلا يجوز[٣].

(٣) وقال : فإن تحركتا قلبت الثانية وجوبًا ، ثم إن كانت الثانية لاما قلبت ياء مطلقًا بأى حركة تحركتا ، لأن الآخر محل التخفيف والياء أخف من الواو[٤]. ومثال ذلك اسم الفاعل من (جاء) تقول : جاءٍ وأصله (جائئ) قلبت الثانية ياء فصارت (جائىٌ) ثم استثقلت الضمة على الياء فحذفت ، فالتقى ساكنان الياء والتنوين فحذفت الياء وصارت (جاءٍ).

أما إذا لم تكن الثانية فى موضع اللام من الكلمة ، فتارة تقلب ياء ، وتارة تقلب واوًا ، وذلك فى تسع صور ناشئة من ضرب حركات الأولى فى الثانية ، وسنقتصر على ذكر ماله كلمات مستعملة من هذه الصور ، أما ما لا يتوصل إلى أمثلته

---

(١) سيبويه ج٣ ص٥٥٢ .
(٢) شرح الرضى للشافية ج٣ ص٥٣ .
(٣) شرح الرضى للشافية ج٣ ص٥٥ .
(٤) المرجع السابق .

إلا بباب البناء والتمرين ، فذلك أمر ينبغى أن نصون أعمارنا وأوقاتنا من الضياع فى أمثاله ، فإنما الحياة عمل لا ظنون .

أولاً : قلب الثانية ياء :

إذا كانت الثانية مكسورة قلبت ياء نحو : أيمة «بالياء» فى (أئمة) .

ثانيًا : قلبها واوًا :

(١) إذا كانت الثانية مفتوحة بعد ضمة نحو : أويدم فى تصغير آدم .

(٢) إذا كانت الثانية مفتوحة بعد فتحة نحو : أوادم فى جمع آدم عند غير المازنى الذى يجعل الواو فى الجمع منقلبة عن الألف التى فى المفرد .

(٣) إذا كانت الثانية مضمومة بعد فتحة نحو : أُوبٌ جمع أَبٌ بمعنى المرعى (على مثال كلب وأكلب) وأصل الجمع أَأْبٌ ، نقلت حركة الباء الأولى إلى الهمزة الثانية فصارت أَأُبٌ ، وبتخفيف الهمزة الثانية صارت أُوبٌ .

تعقيب :

يفهم من النص السابق الذى نقلناه عن سيبويه أن إبدال الثانية من الهمزتين المجتمعتين فى كلمة هو القياس الذى لا يجوز غيره ، وأن هذا الإبدال لغة العرب جميعًا ، ولا يختص بالمسهلين منهم . ولذلك عد سيبويه والبصريون تحقيق الهمزتين فى كلمة من قبيل الشذوذ ، وقد ذكر ابن جنى من ذلك الشاذ ما حكاه عنهم أبو زيد وأبو الحسن من قولهم : غفر الله خطائئه ، وحكى أبو زيد وغيره : دريئة ودرائئ ، وروينا عن قطرب لفيئة ولفائئ وأنشدوا :

فإنك لا تدرى متى الموت جـائئ إليك ولا ما يحدث الله فى غـد[1]

ثم قال ابن جنى : ومن شاذ الهمز عندنا قراءة الكسائى (أئمة) بالتحقيق فيهما ، فالهمزتان لا تلتقيان فى كلمة واحدة إلا أن تكونا عينين نحو : سئَّال وسئَّار وجئّار فأما التقاؤهما على التحقيق من كلمتين فضعيف عندنا وليس لحنا . . . . لكن

---

(١) انظر : الخصائص ج٣ ص١٤٣.

التقاؤهما فى كلمة واحدة غير عينين لحن ، إلا ما شذ مما حكيناه من خطائئ وبابه[1].

ويبدو أن ما حكاه سيبويه والبصريون ليس كل ما ورد عن العرب ، ذلك لأن تحقيق الهمزتين فى الكلمة الواحدة وردت به القراءة القرآنية الصحيحة ، فابن عامر والكوفيون الثلاثة : عاصم وحمزة والكسائى قرأوا : (أئمة) بتحقيق الهمزتين ، ولو لم يكن تحقيقهما من كلام العرب لما وجدت هذه القراءة ، كما أن البدل ليس هو الوجه الوحيد فى التخلص من ثانى الهمزتين فى كلمة كما قال سيبويه ، بل يجوز تسهيلها بين بين ، وبهذين الوجهين قرأ الباقون من الأئمة العشرة كلمة (أئمة) فى جميع مواضعها وهى : ﴿ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ (التوبة:١٢)، و﴿ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (الأنبياء:٧٣)، و﴿ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (القصص:٥)، و﴿ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ (القصص:٤١)، و﴿ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (السجدة:٢٤)، وقد قال ابن الجزرى فى النشر : «والصحيح ثبوت كل وجه من الوجوه الثلاثة أعنى التحقيق ، وبين بين ، والياء المحضة عن العرب ، وصحته فى الرواية كما ذكرناه عمّن تقدم ، ولكل وجه في العربية سائغ قبوله ـ والله تعالى أعلم ـ»[2].

* * *

(١) النشر ج١ ص٣٧٤.
(٢) النشر ج١ ص٣٧٤.